سلسلة الابداع -١-



شرق الشمس غرب القمر

محمد الفيتوري

منشورات المجلس القومي للثقافة العربية

محمد الفيتوري

شرق الشمس غرب القمر

منشورات المجلس القومي للثقافة العربية

تمّ نشر هذا الديوان ضمن سلسلة الابداع

الطبعة الأولى 1987

رقم الايداع القانوني
1987 / 13

الاهـــــداء

إلى تلك التي ما فتئت تغرورق عيناها
.. كلما أطللنا معا على الماضي ..

محمد الفيتوري
المغرب ــ الرباط
10 ــ 12 ــ 1986

إشـــارات

إشــارات..!

1

في غبار الحرب الكونية (1939 ــ 1945) تلاشى وهج كل إيديولوجيات الطبقات العربية القديمة. وفي نكبة (1948) دقت نواقيس إفلاس النظم العربية القائمة. وفي هزيمة (1967) تكرس عجز الجيل العربي الحاكم عن قبول التحدي وإمكانية المواجهة. وفي السبعينات أمكن للخيانة وحدها، ولروح الهزيمة أن تسود الساحة، وأن تشق لها طريقا متعرجة عبر طريق النضال المسدود. ومع تتابُع حلقات سلسلة النماذج أو المواقف المفرغة تستفحل ظواهر عقمنا الفكري والسياسي، ويزداد الواقع العربي ضعفا وفساداً، بانتظار قدوم الثورة الإجتماعية، والشاعر العربي العظيم.

2

وأقول إنني لست ضد انتقال سدّة الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان، ولكن مشاعري مع علي بن أبي طالب. ومسألة العقاب والثواب والجبر والإختيار، والأقانيم الثلاثة والوحدانية تَعْنيني من وجهة نظر دينية، ولكني أرفض ممارسة الطقوس والأشكال الكهنوتية إلى الحد الذي تنمسخ فيه معالم الوعي والإرادة في شخصانية الإنسان.

إن كل ما هو ضد الإنسان لا يمكن أن يكون من أو مع الله.

وأقول إن إسلام خلفاء وسلاطين بني عثمان وجميع قباب جوامعهم ورخام أضرحتهم لا يجعلني أغض الطرف لحظة واحدة عن الأسباب الحقيقية لظروف التخلف التاريخية التي لازال يعاني منها الإنسان العربي المعاصر ــ مسيحيا كان أم مسلماً ــ والتي تتغلغل بذورها المسمومة إلى تراب هذه المرحلة، ولعل زيارة السادات للقدس المحتلة وانحناءة جَبِينِه أمام كبرياء الصهاينة الغاصِبين، لم تقلقني أو تفاجئني بقدر ما أقلقت وفاجأت الكثيرين، باعتبار أن الزيارة والزائر مجرد حدث عارض في تاريخ النضال. وإن وجعي أكبر في رؤية العشرات من كتاب عصر عبد الناصر ومثقفيه وهم يوظفون أقلامهم وضمائرهم بنفس اليقين والعفوية في خدمة أهداف عصر السادات.

3

ليس هناك شعر حقيقي دون موقف اجتماعي، إنها علاقة جدلية ذات مستويين أو وجهين يستحيل أن يكون أحدهما دون الآخر، إن الشاعر أي شاعر هو ابن بيئته ومجتمعه الذي هو مزيج من التفاعلات السياسية، والإقتصادية، والثقافية واذا كان هنالك في تاريخ آداب الإنسانية كلها شعراء اتخذوا مواقف بالغة الفردية، فلا شك أن مواقفهم تلك، إنما هي حصيلة انطوائهم على أنفسهم، أو انتمائهم الضيق للفئات، أو القوىٰ الإجتماعية التي ينتمون إليها ... أو ربما خضوعهم لمغريات ومصالح أنانية انحرفت بهم عن أداء رسالة الشعر ... وفي واقع الشعر العربي المعاصر والقديم تتعدد النماذج وتتنوع الشخصيات وكل إبداع يتوقف على طبيعة الشاعر ونوعية طموحاته ... يتوقف علىٰ أصالة موقفه، وصدق انتمائه الإجتماعي الإنساني.

أما أن الظروف الإجتماعية تخلق الحدث الشعري المتمثل في ولادة الشاعر وفي صيرورته الشعرية، فذلك أمر كثير الحدوث ولكن الشيء الأقل حدوثاً هو أن يستطيع الشاعر تفجير الحدث الإجتماعي ... بمعنى أن يكون أداة حقيقية وفعالة في إحداث التغيير ... إلا أن ذلك كله وقف على أصالة الشاعر، أقصد عمق ارتباطه بالناس وقدرته الخارقة على أن يكون صوت مجتمعه، أن يكون النبي والرسول. القابلة، وحفار القبور ــ كما يقول جوركي ــ في وقت واحد.

4

ـــ لقد اختلفت الآن أساليب اقترابي من العمل الشعري عما كانت عليه بداياتي، كنت منذ قرابة 25 عاماً، أجد نفسي متفجراً بمعاناة طامحاً لتجسيدها بغَضِّ النظر عن الكيفية التي تنصب فيها تلك المعاناة.

كان همي آنذاك أن أتخلص من هذا العذاب، بعض الذين عاصروني قالوا منتقدين : « كان يكتب شعراً تقريريا لا علاقة له بالشعر العربي المعاصر ». وكانوا يعنون مجموعاتي الإفريقية، وأذكر أنني ضحكت بحزن في داخلي. ولم أكن أدافع عن نفسي، حين قلت أنني أحاول أن أطهر نفْسي مما ورثته من عذابي لأنني أريد أن أخلص إلى الواقع كإنسان في العصر.

ـــ تلك كانت ركيزتي فيما قبل، أما اليوم فإنني أكتب بعد أن أكون قد خططت وأعددت قائمة نفسية بما أريد أن أقوله، إنني أكتب شعري حين أريد أن أكتب لا أخضع لما يسمونه بالإلهام الشعري، أن لدي رصيداً موروثاً على مستوىٰ الإيقاع والفكر يمكنني من قول ما أقوله للآخرين ولا تبقىٰ أمامي إلا الكيفية التي بها سأقول، أي أنني أضع فكرة البذرة بكل وعي (سواء كانت سياسية أو اجتماعية) ثم انتظر بعض الوقت حتى تزدهر فيَّ كما هي في باطن الأرض، لتبدأ

تتشقق في داخلي وتشقني في نفس الوقت، ثم تبرز شيئاً فشيئاً حتى تأخذ شكلها الخارجي الذي سوف تواجه به الآخرين. أقصد حتى تلبس جسدها الإيقاعي الذي يفرض ذاته عليها، فأنا لا أختار إيقاعاتي إنما تختارني هي :

ــ إنني أختار أفكاري ولكني لا أستطيع اختيار موسيقاي وأنغامي، ولعلي الآن أشير إلى إحدى حقائقي الشعرية لهذا فقيمتي الشعرية لا تتحدد في ضوء ما وصلت إليه مرحلة ما من مراحلي الشعرية.

ــ إنني مجموع مراحل من المعاناة الإبداعية والتجارب الفنية، تكتسب كل مرحلة قيمتها بأن تضعها ضمن شروطها الزمانية والمكانية.

5

أنا أحد شعراء هذه المرحلة وإذا كانت ثمة من مآخذ أو اتهامات أو حتى إدانات يمكن أن توجه إلى شعراء الجيل الذي أنا منه، فالحق أنني أحد أولئك المدانين، إنني إنسان يتحرك راضيا أو مكرهاً، ضمن دوائر هذا الخراب الهائل الذي تعيشه أمتنا العربية، كنت أتصور منذ أكثر من ربع قرن، وكنا ما نزال حينذاك، نحمل

باقات الأحلام داخل أجفاننا، كنت أتصور أن من سوف يعيش تلك الرحلة إلىٰ مسافات بعيدة منها، سوف يكون من حظه، أن يرىٰ وجهاً آخر مضيئاً، من وجوه هذا العالم، كنت أتصور أن وقتا سوف يجيء وسوف نكون نحن بعض بُنَاته، ضمن من سوف ينعمون ببعض الإنتصارات والأيام الحلوة فيه ولكن هانحن ذا، حيثَ بدأنا وكأن لم نخط خطوة واحدة إلىٰ الامام ... القيود في الأرجل و السلاسل في الشفاه ... أقصد الحرية التي حلمنا بها، (نحن الشعراء) لم تتجاوز طفولتها المضحكة.

محمد الفيتوري

«كان عشقي مثلي
يضم جناحيه إثر الزيارة
لم أكتمل في عبادتها...!»

ليسَ في الياسَمينة غيرُ البُكاء

لملائكةٍ تتعانق خاشعةً في مراياي..
ذائبةً في شموع التراتيل..
مائدةٌ من بنفسج روحــــي
ولي أفق من طيور اللقاليق
ينصب أعراسه البربرية حولي
إذا دخل الليل في الليل..
يلبسني في الدجى قمرا ميتا
ويغادرني غابة في نعاس الظهيرة
أعراسي الغابة الاستوائية..
القمر الميت ..
الكائنات التي تتناسل أشباحها
تحت نافذتي..
كلما آضطربتْ في الكهوف العميقة
أمواج منتصف الليل..!

مـونـولـوج 2

ها قد أتى الوقت..
يا موحش الذات في الذات ..
ها قد أتى الوقت ..
وحدك أنت، وأشجارك البيض ..
مثل الشوارع موحشة وحدها ..
في شتاء المعاطف والقبعات
النبوات تصدأ في بقع الماء
والصور الجاهلية، تنفخها الريح خلفك
والزمن الرثُّ، منجذب بين قطبين

★ ★ ★

خـذ باليقيـن ..
فإنك أنت الحجاب الذي حجب السر عنك

وتلك الشموسُ التي آشتعلتْ
في القباب الملونة
آشتعلتْ بكَ منك !

مونولوج 3

مِثْلُ أرملة العــرس..
أسدلتْ النحلةُ الذهبية أهدابها

وهوتْ مطراً ناعماً
في بكاء الغصون

* * *

ليس في الياسمينة غير البكاء
وفي بهو سيدةالقلب نافورة
و مُغَنٍّ حزيـــــنْ

تُرى كيف تعبق زنبقتي
في بساتين هذا المساء الخريفي !
والكلمات التي ارْتبكتْ خشيَة الله
كيف تلامس قُربَانها؟
كان عشقي مثلي يضم جناحيه إثر الزيارة
لم أكتمل في عبادتها ..
ولهذا تلاشيت دون القبولْ

★ ★ ★

ــ إنكسر .. فانكسرت ..
ــ احترق .. تحترق أو تضيء ..
جـاءنـي الصـوت ..
ــ يكتمل الطقس، حين تصير المحبةُ لؤلؤةً
في فم النار
قلت : ــ وبرهان عشقي ؟

قـــال : ـــ احتراقك ..
قلت : ـــ وعشقي ؟
قال، وألقى بدهشته فوق وجهي ؟
ـــ احتراقك في الشيء .. أدنى من الشيء ..
والعشق أن لا تحولْ ..

مـونولــوج 4

نَهَرٌ فاغتسلْ أيها المغتسِلْ
آيةُ العاشِقِ الفرد أَنْ يمتثلْ
ولقد يَصِلُ الماءَ أو لا يصلْ
والمدى نجمةٌ في المدى ترتحل
فاسقهم منك في روحهم تشتعلْ
وآمش تحت حوائطهم تكتملْ

الربـــاط 1985

[هذا الكرنفال البابوي أولى بملوك
في التصاوير وفي عصري...]

بَعضُ الموت مَجدُ الأرض

عِنْدَ انطباق القوسِ تستبدل روما وجهها المخطوفَ
روما المُدن الوحشيَّةُ الملساءُ
ذاتُ المقعـد الرملِّـي
لا أَرْوَعَ من مكنسةٍ فضِّيَّــــةٍ
تنثر برقها على تداخلات الصيف والشتاء

★ ★ ★

ثَمَّةَ بلياتشُو سجينٌ في الطباشير
ومقتولٌ يغطي رأسه الثلجي بالشمس ..
وفي التلة دُبٌّ بزمن قصبي
يستدفىء في معطفه المبتل
ما أقسى عيونَ الوطن المحتل
خَيْلٌ وصقور في الدهاليز
وأشباحُ طواحين على الأفق
هي الوحشةُ لا تدفئها الوحشةُ

من يمتد في صيرورة الآخر
ـــ مات الملك الســـادس
قالت شهقة الراهبة العذراء
ـــ مات الملك الســـادس
وآنهارت على المذبـــح
واحتجَّ الملوك الحائطون الذين انتظروا منذ سنين
شهروا أسيافهم فوق التوابيت ..
أضاءوا فلك التنبؤات ..
انهمرتْ أمطارهُم في طرقات المدن الرثَّـــة
قال الملكُ الأصفر :
ـــ ها قد ذهب الحاملُ في الأرض صليب الذهب الأكبر
قال الملك الأســـود :
ـــ إكليل من الورد، وقبض الريح
قال الملك الأزرق :
ـــ بعضُ الموت، مجْدُ الأرض
بعضُ المجد مـــوتُ اللَّه

قال الرجل الأخـــــرس :
ــ هذا الكرنفال البابويُّ الضخم،
أَوْلَى بملوكٍ في التصاوير، وفي عصري
حيث الخاتم الأعظم في الإصبع، والإصبعُ في الخاتم..
أزهار بساتينى على أجسادهــم
فـوق الجيـاد السـود
لا أجمل من أعناقهم فوق جياد العربات السود ..
واستلقى على ضحكته، ثم أفاق الرجل الأخرس :
ــ مــات الملك الســادس

2

لا زيتونة الرب، ولا نرجسة الشيطــان
هــذا هــو أنـــت !
انعكس الطائر والثعبان في روحك..
هــذا هــو أنــت !

رومـــا 1980

«لطف الله بالناس أن الخطايا،
وإن أنتنت، لا تفوح..»

حَريق في ردَاءِ الأمِيَرة

الى الياس أبوشبكة

يـوم أعلنتُ آية عشقــي ..
أسميتُ في نجمة في المجرَّات زاويتي ...
وانكسرتُ عليكْ
كما ٱنكسرتْ زرقةُ البحر فوق جناح النهار
كما ٱنفرطتْ فِضَّةُ الشمس في هضبات المدار
ولما تباركتُ في زينتي ذات يوم
تلاشيتُ في حجبي ..
وٱنتهيتُ إليـــك
ومن أنا في العاشقين
إذا لم تكن أنت عشقي !

ومن أنا في الشعراء إذا لم تكن أنت شعر

★ ★ ★

يـوم أعلنـت عشقــي

كانت عروش المماليك
منسوجةً في حرير الهوادج
والأُمراء السلاجيقُ
يفترشون ظهور الجياد
وآلهةُ الحربِ تلبس أزياءها القانياتِ
وكانت تُحلِّق في مدن الشرق
أشباح مـاضٍ عتيقُ
والأميرة بيروت تدخل مرآتها في رداء من البرق
كانت لبيروت حينئذ هالة امرأة
غسلت جسمها في حريق
وسألتك :
كيف آستراح الذي غاص في مقعد الرمل
والرمل يغزو تضاريس هذا المساء العميق
وسألتك :
كيف تسلَّقَتْ القدمُ الحجريَّةُ سقف السماء

وفي الأرض يقتتل المؤمنون على الله !
واللهُ كيف تحجَّرَ أقنعَةً في صخور المضيق !
وسألتك ثانية
ثـم مـاذا ؟
وبرقوقُ (1) غادر منفاه تحت ستار الظهيرة ..
والخاصكيَّة (2) تنفخ أبواقها الذهبية
والقصرِ يبرق في اصبعِ القهرمانـة
والسُّدَّةُ الملكية محروسة بالحريم
وجلجلة أمطرت وطنا كان في مقلتيك
هو الشِّعْر .. يخلد فيك وتخلد فيه
ويخلد لبنان، منسكبا في غيومك
أنت الذي حملت راحتاه الاناء المقدس

---

(1) برقوق مؤسس دولة المماليك الشراكسة. أعلن نفسه سلطانا سنة 1383 وتوفي سنة 1398.
(2) الخاصكية فرقة مملوكية.

والنـارُ في شفتيـه ...
وباكـورةِ المهـراجـان ..
منسكباً مثلُ زيتونة نذرت نفسها للالٰـهْ
ثم في ذات يوم، كثيرِ التجاعيـد
مالـت على جذعهـا ..
وآستقرتْ على الجـذع
ثم آستحالت هي الجـذع
ثم آستحالتْ نـواه..

* * *

وأذكر أنك أرخت :
لو أن تلك الصقور المدلاة
عبر ثقوب المداخلْ
لم تَكُ عالقةً هكذا في ثقوب المداخلْ !

لو أن رهط الملائكة المنشدين
على خشبات الصنوبــرْ
لم تتجاوز حدود اليقين على خشبات الصنوبرْ !

* * *

لو أن هذا الرداء الرسولي
لم يتحدر قليلا
على الكتفين الرسوليتين
ولو أن بيروت لم تَسْقِ عشاقها من دم مرتين !

* * *

وأَرَّخْتَ يا سيدى
حين تنفتق البـــذرة

الأرض تعرفُ أبناءها
كلما ٱرتجفوا راجعين
ولقد يستطيل عليها الغزاة
ولكنها تَتَقَيَّؤُهُمْ بعد حين !

* * *

عُدْ إليها يعُدْ وطـــنٌ في غنائك

أنت الذي قلت، ساعة قلت : الرحيل
إنني ذاهب، غير أنى أقول لكم
بعض هذا الحضور غياب
وبعض الغياب حضور طويل !

* * *

وأقول لكم
ـــ وأنا محض روح تبوحْ ـــ
لطف الله بالناس
أن الخطايا ـــ وإن أنتنت ـــ لا تفوحْ
وأقــول لكــم :
ـــ نسيت هذه الأرض، وقع محاريثكم
أيها الزارعــون
فاستردوا محاريثكــم
تستردوا القضيـــة
واذكروا أنكم عرب العصر، لا عرب الجاهلية

بيروت خريف 1982

سفني تمخر في المدن .. الأرض
عبر صفوف الرجال المدانين في مَجْد
أيَّامِهِمْ تتقاطع فيهم ولا تنتهي...

زيَارة صَاحِبْ البَرق

هذه العتبات التي ارتطمتْ شمسُهـا
في صخور المدارات
كان آسمُها عتباتِ أبي ..
كان قوسا، تحوّل نارا وزيتونة
وتعالوا إذن وانظروا كيف ترتطم الموجة ..
آنكسرتْ آية الله في نجمة الطفل
وانكسرتْ نجمة الطفل في آية الله
نجمته لعبة الطفل
لعبته نجمة اللـه
كان نيازك وحشيةً تتحدَّى السماء
وكان طقوسا شتـائيـة
لا تبـوح بسر النحـول
وأزمنـةً رثة تترامى هنـا وهنـالك
فهـي بلادي، وليستْ بـلادي
كـان بـدءَ رحيـل الغيـوم

وفيْض حريق الهمـــوم
وكما لم يشأ.. عاد متشحا في الرياح القديمة
من وطـن فـي النجــوم
إلى وطـن في النجــوم

★ ★ ★

هذه العتبات رفوفٌ مقدسة
تتداخل في يقظتي
وعرائس من حجر أحمـــر
وأباريـق مصبوغـــة
عتبات أبـي .. وأنا عابـر ذات يـوم هنـا
أنا هذا الذي يتغشّاه طوفانـه الآن
فوق سطوح الرخام الملون
تلمسنـي فأصير هــواء
وتبصرنـي فأغيـــب
وتُثْلج في شفتيَّ عصور التلكؤ
ثمـة سفـن مداريـة مـن تلكـؤ ذاتـي

في قنوات الرجال البنفسجِ
تعـرج فـي الشمـس آونـةً
أو تحلـق في المـوت آونــة
وكمثل الشروخ العميقة في كبرياء المدينة
تمخـر سفنى في كبرياء الرجـال البنفسج
مثقلة بالمجــاذيــف
سفني تمخـر في المــدن .. الأرض
عبر صفوف الرجال المدانين في مجد أيامهم
تتقاطع فيهم ولا تنتهــي
حيث ينهمك الشفقيون في رقصة السمك الذهبي
المعلق في سلة السرطان
عتبـات أبـي .. وأنـــا
سفن حَاصرَتْهَا جيوش الظلال
التي آحتشدت في زوايـا المكـان

* * *

وتعالوا إذن وانظروا..
لا تجيئوا كأفراس بحر الشمال على شفقٍ غائم
لا تجيئوا مع الملك الخوف
واختبئوا في كوابيسكم
إنكم تسكنون كوابيسكم
والذي تحلمون به يتجسد فيكم
وأنتم تدقون أجراسكم ..
وتميلون صوب انحدار الزمان
بعضكم قدر يسبق الليل
أو يسبق الضوء حيث مشى
وتعالوا إذن وانظروا

* * *

لا تجيئوا مع القمر المتأرجح
يغتالكم في مقاعدكم ..

ثم يزلق فوق بنفسجة اللون في العتمة
القمر المتأرجح يرصف أشجاره الطحلبية
حول عيون العصافيـــر
كي لا ترى كيف تولد معجزة الكون

* * *

من يقطف الورقات التي يبست عن هياكلها !

* * *

حينما آخترتُ ناقوسي
اخترتُ صوتي من صـدفِ البحـــر

* * *

من يحجب القمر المتأرجـــح
أيتها الشهوات التي انكفأتْ

فوق أجساد أمواتهـا
شبقـا عـاقـــرا
إنني أمـة حصدت موتهـا
وسأنبت كالطلح فوق حَنُوطِ دمـى
وتعالوا إذن وانظروا

* * *

إنهـا عتبات أبـي
وأنا صاحب البـرق ـ منكسرا فوقهـا ـ
انظروا كيف أحرق أجنحتي وجهها
المستحمُّ بنور العذابـات
حتى انكسرتُ ركـوعـاً على ركبتيَّ
وأسلمتُ في فـرجِ عنقـــي
وتحجَّرْتُ مثل إلهٰ تحجر في حلمـي
وأنـا صاحب البـرق !!

زليتـن 1985

غداً تشرب الأرض طوفانها
والضحية تدفن قاتلها ... !

حِوَاريّة للفِرْعَون وَأورشليم

كيف داهم عينيك، سيفُ الشتاء المرصع ..
ثم تكسَّرَ فوق المدينة مشتعلاً
نصله نجمة في التراب
وقبضته وردةٌ بين عينيك
كيف تعانقتا أبداً ..
قمرُ الموت والافقُ المتصدِّعُ بالمجد والكبرياء ؟

* * *

ـــ رداء العذاب الجديد، رداء العذاب القديـم
يجيئون خضر الجوانح، خلف مناقيرهـم
ويعودون خضر الجوانح خلف مناقيرهـم
عابريـن .. ولـم يعبــروا ..
والرمالُ العشوقُ تسيل حنينا إلى ساحل البحـر

* * *

ـــ كلِ مُغَنٍّ مع الفجر ينحت تمثاله خلف سور السماء
والفَجَاءاتُ تستبقُ الحلـــم
ـــ من ذا الذي يطرق الآن باب السكوت عليك
وأنت الذي لوَّحَتْهُ المسافات
باب السكـوت عليــك !
ـــ آعصفي خارجا كيف شئـــت ..
غـداً تشـرب الأرض طوفـانهـا
والضحيةُ تدفـن قاتلهـا
إنهم يفقأون عيــون النبييــن
عبر شـوارع أم المدائـن مصـــر
اغتسلتُ بكل مياه البحـــار
من الإثــم، لم أغتســـل
أو تغسلني النار ؟؟
من صلبــوا الله فــي القـــدس
عـادوا إلى صلبه اليوم في ساحة الأزهر الفاطمي
حصادٌ طويلٌ من الثمر المر يا أورشليـــم

وتمشين مختالةَ الخطو فوق التراب المقدس
والخائن العربي يُخَبِّئُ رعشته في ثيابك

* * *

يوم شهدتُ الفجيعـةَ، عانقتُ صمتي
ثم شهدتك حاملةً كأسك الذهبيـة
مملوءة من دمـي
فتشهَّيْتُ أُغْنِيَةً قبل موتي
يـا أورشليـم
وها أنت ذا تضعين الزهور على رأس فرعـون
كم زهرة سـوف تصفَرُّ مـن بعـد
كم شمعة سوف تغرق في الحـزن
يـا أورشليـم
وكم مـرة تطلع الشمـس

ناسيــة .. ربمــا
فالتماثيلِ ميتة، والتوابيت فاقدةُ الذاكرة
والخيانةَ فرعونُ .. لا شعبي المتحدِّي هناك
ولا ذلك البطلُ المتدثر بالصمت
في ظلمة القاهرة !!

بيروت 1980

ياعروس انهضي إن أقنعة
تتساقط في العتمة الآن !

تنويعات في التبغ والبرتقال

تقطفين السكــون، وتحتجبين ..
أُمــرِّغُ عينـيَّ فيـك
تفـرِّين عصفـورة من دمـي
لي سؤالُ المحبين، تحت سماء التمزق وحدي
ولأنـك أنـت فلسطيـــن
يا امرأة مثل موج الظهيرة
في كبرياء الظهيرة
سبَّحْــتُ باسمـــك
يا امرأةً تلد الأمهــات
وتولد في الأمهـــات
ويسقـط في عشقهـا الشهـداء
وتطلـع في شجَــنِ الشهـــداء
وتركـض فـي طرقـات المدائــن
طفـــلا .. وسنبلـــةً
وصباحـاً يسيِّجُـهُ المـاء
سبَّحْــتُ باسمـــك

«ويحكون أنه قد جاء في كتاب الجنوب المقدس .. وجاء في تجاعيد قهره القديم .. أن شتلة التبغ كانت عاملة من الجنوب في السابعة عشرة، تدعى وردة بطرس ابراهيم، خضبها عناد الفقر بدم الشهادة

تحت أحذية عسكر السلطان. في بلدة تدعى الغازية .. في وقت كانت فلسطين ــ تتلوى تحت الجرح ــ داخلة في ابتداء النزيف. عنيت عام 1947. وجاء أن شتلة التبغ مالت باتجاه فلسطين. وهكذا سقط حسن الحايك، وفاطمة الخواجة، بين تلاوين جوع الجنوب ..

لكن حسن العطار، الذي سقــط قتيلا بدوره أمام معمل غندور في الشياح، كان أيضا شتلة تبغ، يبست في عشق فلسطيــــن»

ويحكون عن فرح في قرارة عينيك ..
في رجفة الشفتين، المبللتين
برائحة التبغ والبرتقال
مـقـدَّسَـــةٌ أنـــت
يصلبـك الصالبون هنـــاك
وتمشين أبهى من الحلم
في شجر التبغ والبرتقال
آنهضي من رفاتك عذراء
تلوى ضفيرتها الريـــح
يا وردة المستحيل الجنوبي
لا شيء عبر المدى .. لا صدى
شتلة التبغ، ما فتئت في الجنوب
معانقة جرحهـــا
والرصاصة مُرْتَدَّةٌ عن جبينك يا يوسف
انهض ــ لقد عبقت ثورة الشهداء
ويـــا فاطمــــة

إنهـا الذروة القاتمــة
يا عروسِ انهضــــى
إن أقنعةً تتساقط في العتمـــــة الآن
أقنعـةٌ تتساقط في العتمة الآن !

* * *

هــولاكـو يسبي فقراء البصـــرة
يُشْعِلُ في سعف النخل النيران
والبصرة تنشر في القلب فجائعها
وتكدس خلف مآقيها الأحــزان

* * *

البصرة في كل مكــــان
البصرة في كل مكــــان

الكل غريق في دمهـــا
لا أحد بريء من دمهـــا

✶ ✶ ✶

حِبْـــرٌ يـهـــرق
وفـــم يـغلـــق
ورؤوس فـي الغابـة تحـرق

✶ ✶ ✶

سبحت باسمك، لابسـةً تـاج عصـرك
تعبـر فيـك الفصـول
ويخفت في شفتيك أنينُ المساكين
والموت مرتجفـاً يتلقـاك
عريـان في النهـــر ..

أو ضائعا في ضباب المدينة
مرتجفاً يتلقاك ..
منحنيا .. غاسلا راحة الله
في صبح وجهك
أنت التي تقف الآن، مكتظةً بالولادة
يغسلها الشوق والدم
سبحت باسمك
سبحت باسمك
سبحت باسمك

بيروت 1980

كل خوابي العصور العتيقة..
لا تطفىء العطش المتجسد في القلب..

القيامة

لِتُعانِقْ نُبوءَتَها هذه الـرُّوحُ ..
وَلْتنتصِبْ أفقاً مشمساً، خيمةُ الطيِّبِ والخبـز ..
وَلْتستحِلْ فوهاتُ البنادق
في كف حاملها، نهرا أبيضا
يتدفق عبر الحقول
وليظل اكتمالُ اكتمالِكَ فوق مدار الفصول
أيُّها البشريُّ، الاله، الرســول
القرابين، والشوق منَّـــا
ومنكِ الرضـــى والبِشَاره
صحراءٌ نحاسية، نحـــن لــولاك ..
أزمنةٌ من حجـــاره

— 1 —

من جحيم الطقوس، ومن خزف الكلمات
ومن دوران الفصول

سقوف معابدنـــا
وطعـام موائدنــا
أبداً ننحني ضارعين، على بقع الدم ..
تمتد فوق سـواعدنا
وحريـــر وسائدنـــا
تتداخل فينـا الهزائم، هاربةً من عيون
الذي سوف يأتـــي
ونُغَطّي الخطايا، فتفضحها أعينُ الأمهات

— 2 —

مباركةٌ خطواتك ..
يا من ستأتي على هذه الأرض، مخترقا جبل السر
هالتك القدسية حولك
مجد السموات حولـك

تأتـي كمـا جئـت من قبــل
تغســـل عنا الجريمــة والعقــم
ها أنت ذا تتلمَّسُ موتاك ..
تنفض أجسادهُم من تراب السنين
تُبَارِكُ أيامهم .. تستدير مهيب الكآبة ..
قلبـك لا ينبـت الحقــد
مجـدك لا يـرثُ المــوت
وجهـك لا يلبـسُ الكبريـاء

— 3 —

يسألونك .. ؟
ــ كلُّ مياه المحيطات .. كل السحاب
الذي يعبر الأفق، منحدرا
في مدى الأفق

كـل خوابـي العصـور العتيقـة ..
لا تطفئ العطش المتجسد في القلب ..
.. تطفئه دمعة، تتألق عـارية الطهـر ..
في ردهة الحـب

— 4 —

ــ لن تجدوني ..
كما تجدون أساطير من مثَّلُوني
نقوشاً على حجـر
أو تصاويرَ مبهمةً في كتاب قديمْ
أنا في الكائنات، وفيكم أُقيمْ ..

— 5 —

ــ يسألونك .. ؟
ــ كانت سياط الخيانة، تجلد أرواحهم ..

وتحاصرهم
كنت أرحم آلامهم، وأنا مُغْرِقٌ في سكونى
ولهذا غفرت خطيئتهم
ورثيتُ لمن قتلوني !

— 6 —

ـــ يسألونك .. ؟
ـــ هذا اعترافك أنت ..
الشهادة في فمك الملكيِّ
وإذا نارك اشتعلتْ في يديَّ ..
فالذي آختارني ليس أنت ..
ولكنه « أنا » يقسو علي .. !

— 7 —

ـ فوجئتْ أورشـليـــم ..
طار طائرُها عالياً .. وتخطَّى النجوم ..
وتُفَاجأ ثانية
بالسقوط العظيم !

— 8 —

ـ يسألـونـك .. ؟
ـ مَنْ لَمْ يكُنْ خائني هذه الليلة القمرية
فليأتِني تاركاً قوسه، وكنانته
وحســامـه
سـوف أبعثـه سيـدا
أنـا مجـد القيـامـة !

— 9 —

أيها البشر الآلهي
الذي قهر الحقد، والموت، والكبرياء
آبتسم للذين انتهوا فيك
وابتــدأوا فيـك
قل كلمتك .. كن رجاء لهم ..
وأجب سائليك ..
أنت يامن وهبت دمك ..
خَمْرةً، وخلاصا لأرواحهم
وبكيت على قاتليك !!

باريس 1979

..لمن إذن نصب الموتى سواعدهم
فوق الجحيم..!

لا.. ليس لبنان

لا .. لا تقُلْ دخلوا في الموتِ أو رحلوا
هناك من أَمَرَ الأبطالَ فانتقلوا ..
هناك لبنانُ، والأرضُ التي غضِبتْ
لوقع أقدام من خانوك ياجبلُ
هناك إرثك في الأرواح حيث سَرَتْ
أرواحُ من ملكوا الدنيا ومن شغلوا
هنالك القدسُ .. يا قدسَ النبوة ها
قد كان ما كان، مما سطر الأزل
لكن سكان برج الصخر تدرك أن البحر
آت .. وأن الموج متصل
سألت نفسي لما جئت مختلطا
أكاد أخلق في ذاتي وأرتجل
مَاضِيَّ مجد قديم النقش أحمله
على ذراعي ميتا، حيث أرتحل
ودارتي قطعة من صخرة سقطت

من نجمةٍ لم تزل في الأفق تشتعل
وبي من الهم، ما بالكون من عرب
ضاقت بهم صحراءُ التيهِ فاقتتلوا
تقاتل الجبلان : القهر والبشر السكون
بالقهر، والدميتان : اليأس والأمل
أنا الشقي بهم .. لم يبق في دمهم
من عزة النفس إلا النفط والعلل
أنا الشقي بأحبابي، وإن يبسوا
كمثل ما تيبس الأَيَّامُ أو أفلوا
ففيم أزهو اغتراباً عنهم .. وأنا
كل الذين علوا في الأرض أو سفلوا
وفيم أستنهض الأموات معتذرا
مادام تاريخ أجدادي هو البطل
غفوتُ .. لم أغف : مثل النهر سابحة
أسماكه .. وهو في استغراقه ثمل
نأيتُ .. لم أنأ : كان الموت يلبسني

حياً .. ويلصق في عمري وينفصل
بكيتُ .. لم أبك : مرَّتْ غيمةٌ فسقت
غصناً من الورد يدنو ثم لا يصل
رأيتُ لم أر شيئا : كان ثمة في الآفاق
بغضٌ لوجه البغض يقتتل
صرختُ والدم في راحات من شربوا
ولحم لبنان في أشداق من أكلوا
لمن إذن نصب الموتى سواعدهم
فوق الجحيم، وشبوا فيه واكتهلوا
وفيم أطلق طفلٌ جسمه قمراً
من القذائف، والتاريخ مُنْذهلُ
وغاصَ في وطن كالحلم تحرسه
عدالة الله فوق الأرض والمثل
لبنان .. لا ليس لبنان الذي صنعوا
بالأمس أو قسموه اليوم واحتفلوا

لا ليس لبنان عرش الطائفي إذا
استقوى .. وألعوبة الحطام إن عدلوا
لا ليس لبنان تلك الملصقات على
الحيطان، تنزو جراحات وتندمل
وليس لبنان هذا الليل يغسل عينيه
.. بذبح ضحاياه .. ويكتحل ..
لبنان رؤيا نبوات مقدسة
تظل في الكون مثل الكون يكتمل
فلتستبق وحدة الأديان خالقها
إلى الوجود .. وتحصد زرعها الرسل

باريس 1984

هاقد سكنت سيدة الإيقاعِ
في الإيقاع ..

ذهـــول

وحده المحمول في أسوارك الكبرى ..
مخيفا مثل أسرارك ياراهبة البستان
لم يسألك هذا الشبح الماضي .. إلى أين ؟
اليواقيت .. الأعاجيبُ، وسحر البحر
رملٌ في اليواقيت .. ورملٌ في عيون البحر
لو أبصرَتْ الياقوتةُ الميتة، حزن الضوء
في الوحل الذي يسطع في الضوء
ووجه العاشق المبحر في وحشتِهِ
والقلب مقتول الصبابات
وها نحن تهالكنا على حائطنا الثالث ..
والسابع .. والعاشر
ها نحن، ومازالت رؤوس المدن المقطوعة الخرساء
تساقط في جنازها الثالث، والسابع ..
والعـاشـر .. فينـا
وكـأنـا مـا بقينـا

* * *

إنه منتصف الخط العمودي ..
انتصاف الزمن العاكس ..
ها قد سكنت سيدة الإيقاع في الإيقاع
والساعة في الساعة
والقوس يغيب الآن، في نرجسة القلب
وصيف في رداء أبيض يسبح صوب النهر
يا صيف انفعالاتي .. امكثي
قلت : امكثي
مائدة الزهر المسائي استحالت جوقة
مغرقة في الصمت
والخالق يفنى راحلا في وجع المخلوق
والموت كما كنا آشتهيناه
يُغَنِّي أبدياً في حضور الموت !

بيروت خريف 1982

كان بوسع الفضاء
يسيل غناء ويرقص
ثم يسيل غناء ويرقص ..

وردةٌ .. طيــفُ قِـدِّيسَـةٍ ..
سكبتْ رُوحَها في آتجاه السماء
وسحـابُ إوزٍّ غـريـق علـى الأفــق
يـدفـع أعنـاقه المتعبـات
إلى نقطة في الدجى اللؤلؤي
وفي منحنى القوس بعضُ رسوم الشتاء
وآلهةٌ من غيوم تشكِّل أجسادها
صوراً مفزعات
وأوشحةً عنكبوتية النسج
يـا رؤيـة اللـه في رؤيتـي
ما الذي جعل البحر يطفئ قنديله فجأة
ويغادر نوبته، شاخصاً في سقوف البكاء

— 2 —

لم تكُنْ غير قبضةِ رملٍ تسافر في البحر

كـان هـو البحـر
كـان هـو النجمـة الأطلسيـة
والرمل، والبحر
أغْرقَ في ذاته، ذاته
وآنحنى داخلاً في زواياه
ذات مساء رأيناه
قال الذين رأوا شبحا في أزقة فاس العتيقة
منهمكاً في الغرابة :
كان كذئب الجبال، وحيدا ..
يصارع أفعى على ظهـره .. زاعقـاً
ـــ إنني حارسُ الغابة البشرية
والطير تأكل أرزاقها فوق مائدتي
ثم تفرخ فيَّ، وتأكلني ..
وأشاح، كمن يتقيّأُ فوق عظام مدينته ..
ثـم أرغـى وتـاه
وأمطـرت النـار إثـر خطـاه

— 3 —

مِثْلُ رأسٍ مجللة بالسواد
تطلُّ معذبةً من تقوب المناجم
مثل رسول يقوم من الموت في الكتب الازلية
أصفر .. أسود .. أزرق
عيناه شمسان زنجيتان
مثبتتان على لوحة الغيب
قال الذين رأوا لحمه يتناثر ذات صباح
على الشاطئ اللازوردي
كانتْ ألوفُ البنادق تبصق أحْشاءها فيه
وهو جميلٌ وقاتمْ
أميــرٌ مـن البــرق، والـرعـد قـادمْ
وحيـن تنـاوبـه حـرس القبـر،
كان بوسع الفضـــاء
يسيل غناء ويرقص

ثم يسيل غناء ويرقص
حتـى اختفـى، صاعـداً خلـف رقصتـه
في غناء الجماجم

— 4 —

حيث تزرع رأسك ..
لا ينبغى لك أن تحصد الدهشة
الرأس قمحة من يحطب الليل
بعض الذين أحاطتك أشجارهم
حطب الليل

★ ★ ★

كان الحضورُ الجميل احتمالا
وكان كمالُ الكمال اختلالا

وجرَّدَني من سحابته ذات يومٍ وقال :
احـتـجــب
فالتواصل غير الوصول
والتماثل بعض الدنو الخجول

الرباط 1985

.. من أجل عينين زنبقتين
تحجرتا..
وتحجر فوقهما كبرياء الجمال

ترنيمة للحُبّ وَالأرض

صلِّ من أجلها ..
وٱرتبِكْ لحظة في تصاوير سقف المدينة
إنك في مجد معشوقةٍ هي تحت سماء الألوهية
السيف، والرأس، والمعمدان
وهي ختم خوابي الرحيق
التي عُتِّقَتْ من قديم الزمان
وهي بدءُ اغتراب المشاعل
والحالمين على الأرض ..
معشوقة سكنت في شرايينها شمس لبنان
واختال في روحها عطر لبنان

* * *

صل من أجلها ..
صل إن طيور المدينة تنقر أقفاصها
وحصاد البيادر كان حصاد العذاب

واكسر الراحتين على نقطة من دم
علِقَتْ بالرداء المقدس
في خجل واضطراب
إنها الروح تسترجع الآن ميراثها
الآن تنهض مطعونة في مقاتلها
صور الكائنات البريئة
والضـائعـون خـلال الضبـاب
يجيئون عبر جسور الضباب

* * *

شـدمـا ذبلـت زهـرة العمـر
في حين لم يحصد الحاصدون من الحرب
إلا الخـــراب
عبثا سقطتْ من أصابعهم هذه الأرض
مذ أغلق الشعب من دونهم بابه

سقطتْ مثل زيتونة من أصابعهم
هذه الأرض
والنخل ظل يُمَشِّطُ أغصانه تائها
والنسيم الحريريُّ يرشق وردته
في بلاط السكوت
والذبيحة مشدودةٌ في موائدهم
دم تلك الذبيحة كان يقاتلهم وحده
كان جيشا يحاصر جلاد بيروت
منتقما .. ويقرر أن لا يموت

* * *

صل من أجل لبنان
من أجل كفين مصلوبتين على خشب الأرز
شاهقتين بأعلى الجبال

صل من أجل عينين زنبقتين
تحجَّرتا..وتحجر فوقهما كبرياء الجمال
صل للحزن، يضفر تاج البراءة
فوق جباه المحبين
صل للجرح في وطن الجرح
يكبر يوما فيوما ..
ويسطع مستصرخا كل حين

بيروت 1984

الآن تبدأ البداية ..
الآن تنتهي النهاية ..

أوراق طائر الليل

يكتب شيئا، طائر العاصفة الشتوي ..
في أوراق هذا الليل ..
من توَّجَنِي يا ملك العتمة
مملوكا على العتمة
هل تبصر هذا الأفق المشمس في عيني ؟؟
إني أتحدَّى عرشك المصبوغ بالمجد
ومن علَّقَني، في قفص الدمية
لا أملــك إلا خـوذة الريـش
ولا أحمــل إلا صـدف البحــر
ولا أمضغ إلا بعض ما أبقى الضحايا الخالدون
في فمـــي ..
ومثلما أردتنـــي ..
حلقتُ في غير سمائـي
وتساقطتُ شهيد العصر
في غير ترابي ودمي !

— 2 —

من خبَّأ الرغبة في الشوق
أتدري ؟ أنت تدري
أن هذا الشوق مأساتي
آنعكاساتُ مراياك على وجهي ..
قوسُ الشجر الغارق في الأصفر
لونُ العشب في العشب
التماثيلُ التي تعبق بالذكرى
ولا تملك إلا شهقة الذكرى
لماذا نملك الشيء قليلا
ثم لا نملك إلا جسد الشيء !!
وتـدري أنـت أن الـزمـن الميـت فـي الانسـان
إنسان يموت
زمــن الدهشـة، والصحـو الضبابـيُّ يمـوت
زمـن يسكـت فينـا

ثم نمتد على الأرض
ويمتد على الأرض السكوت

— 3 —

مرَّغَتْ منقارها أنثى العصافير
على الحائط حزنا
ثم قالت، للذي استغرق
في صبوته الكبرى
إذا لم تعد الآن
فلن أغفر للموت
ولن أغفر للحب ..
ولن أغفر للغفران
واختالت، وقالت :
— ليكن
وليسْكرَ القاتل بالموت

فإني بك سكرى
خمرتي حبك لا الخمر
وأزهـار الأُلوهُيـةِ تنمـو فـي بسـاتيـن خيـالـي
فـأنـا منـك
وهذا الأُفُقُ الرائع
فيـضٌ مـن جمـالـي

— 4 —

الآن تبدأ البداية
الآن تنتهي النهاية
مستلـب كأنمـا لـم تكـن النقطـة فـي النقطـةِ
في لؤلؤة العينين أنت
مِن حيثما صفر البدايات
إلى صفر النهايات
ذهبت لم تذهب

وَجئت لم تجـئ
بكيت مثلما ضحكت
أضأت مثلما انطفأت
عشقـت بعـض الوقـت
كـرهـت بعـض الوقـت

— 5 —

تغتسل الثورة في الثورة حينا
مثلما تغتسل الأنهار في حدائق المطر
تستيقـظ الخالـدة العـذراء
في ردائها الأحمر
بيضاء الجناحين
يعانق الحياة صوتها
ويشعـل الجبـال، والبحـار، والشجـر
سيدتـي

بقدر ما ركضت في شوارع القهر الرمادية
مجنونا أغني بك ..
لا يسمعني إلا المجانين
ولا تعـرفنـي إلا عيـون الشهـداء
بقـدر مـا أنـت
اجعلي مجدك في أرضى ..
اسكني هياكل الطين
وأعشاب التوابيت
وأبواب بيوت الفقراء

1978

لابد من زهر في الحقول البعيدة
ولابد من قمر في الزمان البخيل

سُورَة الفقير

لك دمع العيون التي عانقتك بأحداقها
في صباح العذاب الجميل
يوم جئتَ من المستحيل
ناسجاً بيديك حريق الإرادة والمستحيل
صاعداً فضة في الشروق
سائلاً ذهبا في الأصيل
غارساً بذرة الغد، في رحم الأمس
منصهر الذات في الله ..
مقتلعاً مثل عاصفة أخريات المسوخ
المقيمة في الصخر
يا وطني العربي المُغَلَّفُ في كتب الرمل :
قلبي أنا ليس قلبك هذا العليل

★ ★ ★

.. وَحلَّقْتَ سهماً ودائرةً :

ـ سوف ينبثق العصر من هذه الهضبات
ويجرف دنيا توشحت القحط والقهر ..
لا أقــرأ الغيــب ..
لكنما أبصر الحلم عبر عيون بلادي ..
وإن أبطأت موجة الصيف ..
فالأرض مشمسة خلف تلك التلال
ولابد من زهر في الحقول البعيدة
لابد من قمر في الزمان البخيل
ومن لم يكن زهرا
أو يكن قمرا
فليقف جانبا

★ ★ ★

إن عــدلا علـى هــذه الأرض ..
ليس هو العدل، ما بقي السوط يستنطق الناس

فليركل الميتون مقابرهم .. ولتقم اية العدل
هم صوروا الله فوق سقوف معابدهم، كيفما حلموا
إنمـــا اللـــه في النـــاس ..
لا مثلمـــا زعـــم العـــاكفـــون علـــى الرمـــل

— 3 —

دائراً في الدجى، لم يزل حلم ذاك الفقير
الذي أمسك الشمس في راحتيه قديما
وأفلتها حجرا ..

— 4 —

كان في العتمة المستريحة، في سرر الكون،
رَبٌّ عجوز، يطير بزحافتين من الثلج
ثم توغل في التيه، فابتلعته العصور

ومـا فتـئ الجنـد منذئـذ
يَرْقُصُونَ عرايا الجسوم على رقعة الشطرنج ..

— 5 —

لماذا إذن ؟ وَلِمَنْ كل تلك الذبائح
سادرةً في مواسمها
ولماذا يجئ النبيون والشهداء، كأن لم يجيئوا ؟
الزخارف تبنى البيوت، وتسكن سكانها ..
والطقوس مقدسة ..
لست أحسد ميتا على أنه لابس كفنا من حرير
ولكنني أسأل الميتين ..
— وماذا لو امتلك السيف والعرش
غير الذي امتلك السيف والعرش

— 6 —

قال لها، وهو يحفر شاهدهُ في قبور المدينة
ميلي هبوطا الى الهاوية
وآستخفي، فيا طالما نسج العنكبوت
شباكاً على حجر الزاوية

— 7 —

يوم جئتَ تحسست الكائنات جدائلها البيض ..
واغتسلت باليقين لأول مرة
وأطلت من الصحراء نجوم، لأول مرة

طرابلس 1984

داخلا في علاقة الموت بالموت
كما تدخل الفصول الفصول ..!

صَلــوات للــوطــن

بعض ما سطر الدم المبذولُ
والجراحات والصراع الطويلُ
أنك الأفق، حيثما اتسع الافق ..
وأنت الجبين والأكليل
ويزول الذين تحجب ضوء العصر
خوذاتهم .. ولست تزول
ويخون الذي يخون ..
ويبقى عاليا وجهك الجميل الجليل
ويغنيك من يغني
ويجثو في زواياك مجده والأفول
أيها الكل .. والكمال ..
ومجد الله ..
والمعجزات .. والمستحيل
أترى عاشقيك
كيف يذيب الوجد أجسادهم
وكيف تحول

كيف يستيقظ الشهيد من الموت
كأن لم يمت ..
ويحيا القتيل
كيف تندى أرض ..
وَتَيْبَسُ أرض ..
ويضحِّي جيل ..
ويولد جيل ..
هو ذا أنت ..
لا الطبول التي أمتصتك دقاتها ..
ولا التطبيل
لا بخور المصفِّقين ..
ولا يأس المرابين فيك ..
والتدجيل
لا الصليبي قادما من جديد
فوق أسطوله .. ولا الأسطول

لا أغاني المخنثيــن ..
ولا رؤيا يهوذا الأعمــى ..
ولا إزريـــل [1]
هو ذا أنت .. أنت
هذا الذي يجترح الصمت
سيفه المسلول
أنــت هـذا الذي يجــئ مـن الصحــراء ضــوء
حين الظلام البديل
عربيٌّ
أكفانه فوق كتفيه شهود
على اليقين عدول
داخــلًا فـي عـلاقـة المـوت بالمـوت
كمـا تدخـل الفصـول الفصـول

---

(1) اسرائيل، وهي لهجة عربية قديمة

غاضباً تسطع الرؤى ملء عينيه
ففي كل نظرة قنديل

* * *

ويموج السكون عصفا ..
ويسرى في عيون « المارينز »
حلم ثقيل
لم يكن غير ظله، وهو يرتجل الأسوار ..
يعوَجُّ عامدا ويميل
ــ لم أبطأت ؟ قالت الأرض ..
ــ فَجِّرْ .. كُنْ كما لم تكن ..
فأنت الرسول

* * *

وتهاوت دعائم ..
كُنَّ من منذ قليل ..
هُنَّ الوجودُ البديل
يـومهـا ازدانـت الأميـرة بيـروت بصـمـت
وانساب دمع نبيل
وتمنى لبنان، لو لم يبدد إرثه
الطائفيُّ والمخبول
فالنبي الشهيد طفل جنوبي
بآلام شعبه مجبول
والنبي الشهيد أغفى ..
وفي كلتا يديه
القرآن والإنجيل

* * *

يـومهـا غطـت النعـوشُ سمـاواتِ أميـركـا
وغام فيها الذهول
فالذي ضمت النعوشُ
هو المحتل في كبريائه والعميل

* * *

يومها قال قائل :
يا فلسطين تتلنا ..
والصامدون فليل
غيـر أن الأطفـال تولـد فـي كـل صبـاح ..
وقهرنا مستحيل

دمشق 1983

في زمن الولادة والدمار !

بَيْرُوت

.. ومتـى تحلـق شمسـك الخضـراء يـابيـروت ؟!
كـأس اللـه، هـل ستضـيء بين شفـاه مـن سكـروا
بكأس الله ثانية ؟
وأشواق الذين تعانقوا في الحلم، عبر تماوج الألوان
يا بيروت .. في استشهادها ..
وحريق بواباتها الكبرى
لئن صار الهوى ذكرى
فيا لعذوبة الذكرى !

* * *

ويرحل في سحاب النار ..
عنقود من السنوات يرحل في سحاب النار ..
كان الفجر، أصفر بارد العينين والشفتين ..
كانت شمس بيروت الحزينة، نصف مرآة محطمة،
تلوح على بقايا نصفها العلوي

أشباح الفجيعة ..
وهي تغرق في مقاعدها الوثيرة
والذين هناك يختبئون تحت جلودهم
ويخبئون مرارة الضحكات
يقتسمون أرث الموت
في زمن الولادة والدمار

* * *

أو كان محتوما عذابك !
أن تغـوص حجـارة الكبـريـت فـي عينيـك
هـاتين المـظـلـلتين بالفـرح العـمـيـق ..
وأن تلف جناحك الذهبي
عاصفة السقوط والاحتضار !

* * *

أو كُلُّ هذا الساحل الملحي جرحك ؟
كلٍ هذا الحائط الدموي موتك ؟
كُلُّ هـاتيـك الضحـايـا السـاقطـات مـن الجحيـم ..
وأوجه القتلى المفرغة العيون ..
وذكريات الرعب والدم والغبار !

مجهولون عند الحاجز

* أنا محمد بطرس العربي من لبنان
ـــ حسبك لا تزد حرفا
* وأعمل بائعا لليانصيب، أبيع أوراق الحظوظ.
لمن يشاء. وربما بعت القليل ولم أجد إلا القليل.
ـــ وأنت ؟
* نجار قديم. كان لي بالأمس حانوت وضاع
وقلت يا صيدا الوداع

هناك بيروت التي يحكون عنها ..
وانحدرتُ ميمما بيروت ..
لكن المدينة أوصدت أبوابها ..
بيروت قاسيةٌ على فقرائها ..
سأعود يا صيدا إِليك ..
فقد تعبت من الصراع.
ــ وأنت ما اسمك ؟
* كنت أَمتهن الحدادة .. ليس لي وطن
سوى لبنان.
وَآسمي منذ سمَّاني أبي غسان ..
لم أك حاضرا إذ ذاك ..
ــ لا تقلق .. فلن تحتاج بعد اليوم.
لاسم أو هوية.
* هل تريد هويتي ؟
ــ لا فرق ياغسان. سوف تموت مجهول الهوية

القناص يعترف للفريسة

عيني وَرَأْسُكَ والزناد
أنا الذي تتشكل الأعمار بين يديه .. تنقص أو تزاد ..
أنا الذي يحييك أو يفنيك ..
مهما كنت .. أو من أنت ؟
لا أُغْنيَ بغير الموت
أنت فريستي
وأنا هوالرخ المحلق في سموات الرماد
بعثت من عصري لكي ألقاك
هذا أنت تقترب ..
اقترب .. طفلا .. عجوزا .. كاهنا ..
إني أريدك تحت منظاري ..
ورأسك وردة حمراء، تدعوني لأشهد عرسها ..
يا جثة الحي الذي سيكون منذ الآن جثة ميت قد كان ..
لا لن تفلتي

وأنا برئ منك يا من لست أعرفه ..
فلا تحقد علي
وأنت ترقص في دمائك
لست إلا قاتلا متعاقدا بالأجر ..
اقتلُ، وهو يدفع، ثم أقتل ..
غاسلًا كفي منك ..
ومن دماء القادم المجهول بعدك ..
والذي سيجئ حيث يسود مجدُ الموت .. مجد البندقية.
إني مجرد آلة خرساء ..
أما القاتل الفعلي، فهو وراء شرفته ..
يراقبني
ويضحك ..
ثم يومىء للضحية !

الكلمات الأخيرة

بيروت تشهق بالقذائف والقنابل
بيروت تحلم بالخرائب والزلازل
فهناك مجلود وجلاد
ومقتول وقاتل
وبنادق خانت ..
وأخرى عن مواقعها تقاتل.

بيروت 1975

ولأن النار في جبهته فهو يغني
أبديا لك يا روح الجمال.!

مَن أحْرَق قلبَ الفستقة

ما اسمها ؟ تلك التي ترسم عيناها
على نهر السموات
وشاحا قرمزيا
وطيورا ذاهلات
وقناديل سجينة !
ما اسمها ؟ تلك التي تذبح في ساحتها ..
الأطفال والموتى ..
التي تختال في زينتها
وهي حزينة ؟
ما اسمها ؟ تلك المدينة
قلت : بيروت .. ومدريد ..
وماذا قلت ؟
نيرودا الذي يزدهر اللحظة في ماء الينابيع ..
ولوركا .. لم يزل مغتربا في حب غرناطة ..
يستلهمها الثورة والشعر ..
وتستغرقه النشوة

حتى الاشتعال !.
آه .. يا غرناطة الأشواق
غرناطة أبراج الجبال
درج الشمس رمادي
ومصقـول ..
وناء ما يـزال
غير أن الوتر المشدود في دائرة الكون ..
وفي قلب المغني
ليس خيطا .. إنه قلب المغني ..
ولِأَنَّ النار في جبهته فهو يغني
أبديًّا لك ياروح الجمـال
ولعيني مصطفى الكردي [1]
مغسولا بنور الدم

---

(1) قتيل مجهـول في الحرب اللبنانية.

مجهولا من التاريخ ..
منسيا ..
وملقىً في الظـلال .
مصطفى الكردي .. لما مات
كانت مومياواتك يا بيروت ..
قد غادرت الماضي
عرايا خارج العصر ..
وكان الله في مدريد قد مات [1]
وكان الموت يمشي سيدا
فوق عظام الجنرال ..!

---

(1) كان موت الديكتاتور فرانكو يملأ أعمدة الصحف ونشرات الأخبار.

وداع الرجل الميت

قمر الأمة ..
يا خارطة الدنيا ..
وطاووس النضال
شاحبا أدخل في شمسك ..
في أعمدة البهو الرخامي ضئيلا .. ونحيلا ..
رافعا قبعتي السوداء ..
ما أعظم بهو الموت ..
ما أجمل مولاي حزينا
وسجينا
وذليلا
يتمنى وهو لا يملك ..
يبكي مثل من يبكون
يرتاح كما يهوى، ولا يهوى

يرى تاج النهايات
على رأس البدايات
فينهار طويلا
ثم ينهار طويلا

— 2 —

وقع الطائر في أُحْبُولَةِ الصياد
صقرا ملكيا، عاصف المخلب
عصفورا غريبا، أخضر المنقار
ذئبا جائعا يبحث في الأدغال
عن أنثاه
يا مولاي
كم تشبه في موتك أنثى الذئب.!
كم تشبه سنجابا شتائيا جميلا
لم تعد تشبه أبطال الأساطير المخيفين

المثيرين القشعريرة في الأجيال
لا تشبه بعض الآلهة!

* * *

واحتراما للذي كان هو الأمة ..
أرخي هذه القبعة السوداء في صمت
وأسترجع بعض الضحكات التائهة.

* * *

وهذه إجابة السؤال.
يجلس بعد موته الجنرال
خجلان، إلى مائدة الكردي ..
والكردي خجلان
إلى مائدة الجنرال ..

— 3 —

قط لم تسمع به ؟!
أعرف يا مولاي، ان بطلا منتصرا
مثلك ..
لا يسمع إلا صوت بطشه
ولا يبصر إلا وجه عرشه
ووجه نعشه
ولا يعبد كائنا سواه !

الجريمة والسكوت

ومصطفى كان يبيع الفستق الأخضر
كان قلبه فستقة خضراء
كان فستقة !
تأرجحت عشرين صيفا

ثم لما جاء صيف المطر الأسود
والمعاطف الحمراء
والحرائق المعلقة
تراكضت في طرقات الريح مثل ورقة
وابتسمت محترقة !

* * *

من قتل الكردي ؟
من أغرق في اللعنة بيروت ومدريد ؟
ومن أحرق قلب الفستقة !
تسأل في موتك يا مولاي ..
لا أجرؤ أن أشهد ..
لا أجرؤ أن أومىء نحو وجهك العظيم ..
رب المحرقة !!!

بيروت 1975

عَصْفورة الدّم

كان ثمة كفٌّ رمادية،
تتدلَّى من السقف ..
حاملةً قمراً ميتا ..
وطيورٌ من النار، تنقر لؤلؤة الليل ..
كان قلبي آجُرَّةٌ من دم
ثقبوها .. فسالت نجوما مضرجة ..
عبر أقنية الليل ..
أيتها اللانهائية البعد ..
يا من تَظَلِّينَ مثل زهور السموات
غارقة في دموعي طالعةً في يدي
أو هذي طقوسك أنت ؟
يموت المحب على درج الشوق
دون الصعود إليك ..

ويصبح أغنية أو صلاة
يتوهج في الموت ..
أو يتوحد في العشق ..
أو تستطيل سراديب غربته ..
فهو في سجن غربته .. بطل أواله ..

★ ★ ★

وتداخلت في شجر الكلمات الحزينة بيني وبينك ..
كانت خيام المجوس. ونار معابدهم
تتعانق في طرقات المدينة..
والعصر ربٌّ عجوز ..
يُرَقِّعُ أشلاءَ تاريخه
وبيارقَ عاصفةٍ ..
والعيون التي أطفأتها المهانة
تحلم بالنصر، فوق رماد مضاجعها ..

وتغازل من شرفات المخادع
جندرمةَ الطائفية، وهي تحاول أن
تسجن الريح في صدف البحر..
أن تحجب الأرض بالقبعات ..
وأن تذبح الماء في النهر ..
والنهر أذرعَةُ الفقراء، وميراث أجيالهم ..
وبنادقهم .. وأناشيد أطفالهم
وهو طين الحقول، التي احتضنت
خصبها زمنا
وحديد المصانع
وهو هذا الدم العربي ..
الذي يتدفق عطشان
من فجوات الجراح
إلى فجوات الشوارع

★ ★ ★

كم هي موحشة هذه الردهة الزمنية ..
تصهل في جانبيها خيول البحار التي احترقت
وتدور وُجُوه الكوابيس
كم هي موحشة هذه الأرض دونك ..
أحملها صخرة فوق ظهري
وَأعدو بها في مدارك كالطفل ..
ها أنت ذي تومئين .. وتنتظرين ..
وها أنذا أتعمَّدُ باسمك في كل ثانية
يقتلوني، وأولد ..
حيث تضيء ذراع مقاتلة
فوق قنبلة
أو تطأطيء هامة طاغية
تحت خنجر ثائر ..
يسجنوني ..
وأنبت شمسا على حائط السجن ..
أو يشنقوني ..

وأجعل من حبل مشنقتي، سلما نحو وجهك ..
وجهك هذا النبي الفدائي
هذا الآله العظيم المهاجر.
وتغصين بالصمت خائفة ..
فالطوائف تطبع أختامها في جلود القرابين ..
يا كل شعبي
الجريمة والعدل وجهان ..
والشمس ترحل في البحر ..
لكننا سوف نبني توابيتهم
ذات يوم
وسنرسم فوق شواهدها ..
شارة الثورة العربية ..
والنصر ..

★ ★ ★

وتظلين خائفة ..
فالضحايا تسير صفوفا إلى ساحة الذبح ..
يعلم كل الغزاة الذين هم الآن ..
مضطجعون هنا
تحت أقدامنا
ويعلم أحفادهم
أن آخر ساعاتهم —
حين تكمل عصفورة الدم
في هذه الأرض دورتها
حول دائرة الجرح ..

بيروت 1975

إلى عبد الناصر في ذكراه

خارج الموت

كالفجر تولد، مغسول الضياء نقي
لا تدخل الموت، في أرض، ولا أفقِ
ولا تغيَّبُ عن جيل، وإن بعُدَتْ
بك السنينُ، وطالتْ رحلة الغسق
وبعض قدرك فينا ..
أن مجدك في الأرواح ينبت، والساحات والطرق
وأن صوتك كان العصر ..
ممتزجا بالعظم .. والفرح الطيني ..
والأرق
يا أمة — لم تكن فردا .. ولا جسدا —
إذا ارتوى الفرد، من طغيانه، وسقي
ولدت في وطنين : الدمع والعرق
وعشتَ في وطنين : القلب والحدق

★ ★ ★

كالفجر .. كالمطر الآتي من الزمن ..
كالسيف في النار، لم تضعف، ولم تلن
عصفت باليأس .. كان اليأس عاصفة
فوق المدينة، ذات المرقد الخشن
لابد من نجمةٍ، في الليل، تائهة
كم نجمة، في جبين الليل، لم تكن
أكل ميراث هذا الجيل، ضاع سدى.
يا يأس .. أنت غريب الوجه، عن وطني.
ويافجيعة .. روح الأرض واحدة
فليس ثمة من روحين، في بدن
وإن يخن خائن .. أو ينتكس علم ..
فالشعب لم ينس قتلاه .. ولم يخن
أأمة أعطت الدنيا حضارتها ..
يوما .. وكانت كتاب المجد حيث فني
تظل مطرقة موتا .. وفي يدها
إرادة إن تمس الموت يحتقن.

في القهر رائحة القضبان ..
قلت لهم ..
والعمر يقطر في قارورة الأبد
ثم أرتحلت ..
ومن لم يمض مرتحلا ..
لم يأت قط.
ومن لم يأت، لم يعد.
أكان يغمض عينيه عليك ..
فلم تبصره مختبئا في الحقد والحسد
لقد رأيناه ..
إلا من خيانته عريان.
يرفل في أثوابه الجدد
رأته مصر ..
فغطت وجهها بيد
كي لا تراه ..
ومست رأسها بيد

لا تمض أكثر
لن تبقى الغداة ..
وإن ظننت أنك باق في ضمير غد
وأعول الرمل في سيناء ..
وارتعدت عينا فدائية مصرية الجسد
وكان يمشي ..
وكان الدرب منزلقا
والعار يهطل أمطارا .. ولم يكد.

* * *

ـــ من أنت ؟
قالت له القدس ..
التي سمعت خطاه بين خطى الأعداء
تقترب
هذا التراب رجال

أحرقوا دمهم نصرا سجينا عليه ..
قبلما ذهبوا
من أنت ؟ في مشية الأبطال ..
يا طللًا يمشي، وفي دمه التاريخ ينتحب
من أنت ؟
تنهار في كفك أعمدةٌ من الجلال
ويبكي المجد والحسب
من أنت ؟ يا أنت ..
لا رب .. ولا قدر
ولا دمشق .. ولا مصر .. ولا العرب
مرغ جبينك أني شئت.
تنحسر المأساة يوما ..
ويكسو الساحة الغضب

* * *

لا ..
لا .. 1980

الرماد رمادي يانهر دجلة
والرأس رأسي ياسور بغداد
صرت وحدي في الناس مليون نخلة
كلما قطعوني أزداد.!

مَلكٌ أوكتابَة

بيننا خائن يارفيق
أنا أو أنت ..
فلنقترع قبل بدء الطريق

* * *

ملك أو كتابة !

* * *

تصدأُ الصور المعدنية مثقوبةً في مضاجعها
كل وجه قبيلته فوقه
كل وشم على معصمين احتفال
ذروة النقص في ذروة الاكتمال
لا نبيٌّ ولا ملكٌ
أنت عصف المحاريث وحدك

أَيَّةُ فاجعةٍ أن تكون المغني وحدك
في ذروة النقص أو ذروة الاكتمال
ويد الله تسكب إبريقها
عطشا في التضاريس
والأَرْضُ طاولةٌ تخذت شكلها :
ملك أو كتابة

★ ★ ★

ليس ثمة ما يجعل الموت في الفجر
أجمل منه إذا انتصف الليل
موتك كان الولادة ..
هل طيبتك الزيوت العتيقة
حتى تفاوحتَ في حمرة القيظ !
لا ليس ثمة رائحةٌ في زهور القرنفل
ثمة رائحةٌ في نقوش الخلاخيل

والزبد الأصفر المتخثر تحت العباءات
والقبعات المليئة بالدم والنفط ..
في أي برج ولدت ؟
إذن برجك الرمل
كوكب عصر التهافت في الأفق العربي السعيد

* * *

سألوني ..
وها أنا أشهد
أن الزمان عجيب
وأعجبه أن هذي الجموع
تغني وترقص في قفص من حديد !

* * *

وأشهد
أن التراب الذي عجنته الهزيمة
كان جميلا ..
وأضحى قبيحا
وأقبح من لونه في العيون
تألُّقُ تاج المهانة
فوق جباه الرجال العبيد

* * *

الجوارح تنهش لحم السموات جائعة
وغزالة طاغور في العشب تحلم
مَرَّتْ بها منذ حين سحابه
لم تقل أنت يامن رأى
ملك أو كتابة

* * *

ثم يحدث ما يشبه الحلم
تهبط بضع شموس من الأفق
ذاتُ عيون رصاصية، وأصابعَ باردة
تتقوَّسُ فوق بنادقها ..
وكآلهة في الأساطير ..
تمشي الشموسُ مجنحةً
وببطء ثقيل ترش الرصاصات
عرش الذي قتل الأرض
إنه يتبوأ كرسيَّه الآن
ريشُّ الفراعنة الأولين
على منكبيه .. وفي روحه
جسدٌ بالغ الموت
يحسب أن لن يموت
وببطءٍ ثقيل ترش الرصاصات
عرشَ الذي قتل الأرض

ثم تغوص، وتنكسر الخطوات عليه
وتخلع مصر براقعها ..
كان في دمها، وهي حاضَتْ به ..
نسلته غريبا
وأنسلها لعنة
أحضرته من الظلمات .. وغاب
كان حجم جريمته
حجم يوم الحساب !

* * *

الذي قتل الأرض
نفَّضَ نعليه فوق رقاب النبيين
وآختار رقدته في الكنيس اليهودي
لكنه لم يكن وحده
كان أنت الخيانة أَوْ أنا

والظل أجنحة الشجر المتكسر
معذرةً يارفيق
إن عصرا تحوم عليه الإدانة
فلنقترع قبل بدء الطريق !

* * *

حائط الغيم يصعد معترضا حائط الغيم
والقوس يبرق في الهضبات البعيدة
والرعد ملءُ الأكف التي أمسكت بالمداميك
ها قد مشى الرمل
فوق الحقول التي زرعتها يداك
هو الرمل يمشي هناك
أم العمر تطفو عليه شخوص الكوابيس
« عيد السيادة ..
ذكرى اغتصاب فلسطين »

« عيد فلسطين
ذكرى المعاهدة البربرية »
« عيد الصعود
« عيد الهبوط
ويوم الصيام
ويوم الضحية
ومات الرسول
وقام المسيح
وأعشبت العتباتُ السنيهْ
وقال المطارنة الطيبون
وأفتى ابن مالك والشافعيه
وهذا انقلاب لأجل القضيه
وآخر أيضا، لنفس القضيه
وكأس نبيذ لمجد يهوذا
وكأسان في صحة المجدليه

وعام على إثره ألف عام
وخارطة الدولة العربية
ممرغة في بقايا حطام
قوائمه النظم العنتريه
فهاتيك رايتها جاهليه
وتلك عباءتها هاشميه
وأخرى تميل إلى الماركسيه
ورابعة تعشق الناصريه
وتنطق باللغة الفستقيه
وتسقط كل رقاع البيادق
منهكة في حروب الكلام
وطار الحمام
وحط الحمام
وفي البال فسقية من رخام
ومَحظيَّةٌ مثل بدر التمام
وعين جلالته لا تنام

وياقدس منى عليك السلام

* * *

الذي قتل الأرض
مازال يمسخ رؤيا الجموع
ويهطل في مطر الكلمات
يُزَهِّر أفيونُهُ في الطقوس
وفي كتب الموت والصلوات
وأرغفة الخبز والملصقات
وطقطوقة الباشوات القدامى
ومعزوفة الباشوات الطغاة

* * *

ويا ليل .. يا عين

يا عين .. ياليل
والليل ينفخ أرغوله في شوارع مكة
ومكة جوهرة الأنبياء
تعلق أوثانها فوق سور البكاء
وتحصد في جوعها النفط والفقراء !

* * *

في أشد الفصول خريفيَّةً
تتفتق أغشيةُ اليرقات الشفيفة
عَنْ أمم طفلة
سوف تحمل مائدة الله فوق سواعدها
وتثبِّتُ أعمدةَ الكوْن ..

* * *

من يحبس الموج كي لا يقلب كفيه
في لؤلؤ البحر !!
من يجذب النار
ملويَّةً من ضفائرها !
حجر القبر يرقب ساعتكم
اختبئوا فيه ..
أو خبئوا جِيَفَ العصر
إنِّي أدوس نياشينكم
إن هذي النياشين
فوق صدور مجوفة
قط لم تعرف النصر
إني أدين صحائفكم
طائر الكلمات الجريحة
يقطر في غسق الفجر
أسألكم ياملوك الطوائف
هل أمةٌ في حوانيتكم أم بقايا شعوب

إن أزمنة عانقتها الحضارة
تطمسها ريح أيامكم
إن من يحصد الضوء في الشمس
يحصد ظلمتها في الغروب
خشيتي من رماد هزائمكم
خشيتي من جحيم انتصاراتكم
فالغرابيل مسقوفة أبدا بالثقوب
وليكن قدر الحق
إن انهيار ممالككم وحده
هو شرط انتصار النبي الفدائي

★ ★ ★

شجر الأرز يأكل أطفاله فجأة
كانت الشمس تنصب في شجر الأرز
بستانها
وتروح تسيج منعطفات القرى بمغازلها
أنت من أدخل الشمس في ظله
وتسرب عريان في الظل

آخر مالم تقل
أن سربا من الطير يتعب
لكن أعناقه لا تسد السماء على الطير
واخترتَ برقَ الألوهية
اخترت أن لا تكون
الغيوم التي اتكأتْ في خيال الحديقة
أو سلة الياسمين
التي خبأتها صغار العصافير
في أرخبيل الغصون

— 1 — مونولوج صوفي

كُنْ شريكي أهبْك جواهر قلبي
أو كن قتيلي
إن في شفتيك دمي أو رحيلي

— 2 —

وكان اسمه عابد العابدين
وكان اسمك القادر المقتدر

— 3 —

أنت تعرف أنى كثير
وأنك وحدك
وأعرف أنك قبلي
وأني بعدك

— 4 —

الرماد رمادي، يانهر دجلة
والرأس رأسي، ياسور بغداد

صرت وحدي في الناس مليون نخله
كلما قطعوني أزداد

— 5 —

كان كأس دمي طافحا
فاستحيت .. وأفرغته
مثل من سبقوني
أتراني جاوزت قدري ..
الهوى بجنوني

— 6 —

منذ أن مسنى .. ومضى
تاركا كنزه في فمي
خلصَتْ شهوتي

فهي موجٌ يفىء إليه
وأجنحةٌ من صبابه

★ ★ ★

لست أعرفنى
لم تقل لي من أنت ؟
من أنا يا سيدي ؟
من هو الآخر المتحجر في شفتي ؟
ملك أو كتابه
شفقٌ أو عقيق !
إن من خاننا لم يزل بيننا يارفيق
والادانة ماثلةٌ في التقاطع
فلنقترع قبل بدء الطريق !

بيروت ـــ تونس 1982

الكينونة الثلاثية

دراسة للديوان بقلم:
د. محمد السرغيني

1

1 ــ 1 ربّما كان الفيتوري أقلّ الشعراء العرب المعاصرين إثارة لاهتمام النقّاد المعنيّين بمواكبة الحركة الشعرية العربية المعاصرة. ويرجع هذا إلى عدّة أسباب منها الذّاتي ومنها الموضوعّي، غير أن أهمها أن هذا الشاعر متحصّن بمناعة ذاتية تجعله بمنأى عن ذلك الورم الاعلاميّ الذي يجري خلف بريقه اللامع كثير من هؤلاء الشعراء. ومهما يكن الأمر، فإنه من المؤكد أنه لم ينل ما هو أهل له من النقد والتحليل إلا النزر اليسير إذا قيس بالحظوة التي نالها غيره من معاصريه ممن يساوونه في الإبداع أو من هم دونه فيه.

1 ــ 2 على أن هذه الدراسة إن كانت لا تستهدف ردّ الاعتبار فإنها في نفس الوقت لا تدّعي الريادة باقتحامها موضوعا بكرا لم يخض

فيه الخائضون، الشيء الذي يعطيها طابع الجدّة. إنها على العكس من كل ذلك، تستجيب إلى رغبة ملحّة طالما راودت ذهن صاحبها، وهي أن ينجز دراسات مفردات عن شعرائنا المعاصرين يتوصّل من خلالها إلى كتابة بحث تركيبيّ يستقطب ما في الشعر العربيّ المعاصر من ظواهر وتيّارات. ومن هنا تصبح هذه الدراسة مع مثيلاتها نواة لتحقيق هذا المطمح المأمول.

1 ــ 3 وهنا ننبّه إلى أن المنهج الذي اصطنعناه من أجل انجاز هذه الدراسة، منهج يجد أغلب ملامحه في «سيميولوجية الأشكال الرمزية» كما حدّدها «جان مولينو» [1]، ويجد أقلها في توفيقيّة تنظر في الشكل بمقدار ما تنظر في المضمون نظرات مفرديات ثم تركيبيّات. لكنّها ليست من الدّقة والاستيعاب والتتبّع بحيث تصبح منظورا أو مقاربة أكاديمية، وإنّما هي في الحقيقة نظرات تتغيّى أن تقدّم إلى قاريء هذا الديوان مفاتيح الإبداع الشعري الفيتوري. وهذا كلّه مراعاة لطقوس هذا الشعر الذي له مواصفات خاصة به، تفرض نوعا خاصا من أدوات التناول.

2

2 ــ 1 تشكّل دواوين الفيتوري السابقة التي نشرتها ببيروت «دار العودة» مجموعة في جزئين، فيما بين سنوات 1972 ــ 1979،

مسيرة شعرية أطلقنا عليها تعبير : « الكينونة الثلاثية». ذلك أن هذه المسيرة في هذه المجموعة، (2) عبارة عن كينونة إبداعية أقانيمها ثلاثة هي على التوالي : الزنجية ثم العروبية ثم الصوفية. وهي أقانيم تخضع إلى هذه التراتبية الدقيقة لأنها منظومة ايديولوجية متساوقة.

2 ــ 2 الزنجية إذن هي الخطوة الأولى في هذه التراتبية الإيديولوجية، وبوصفها ذاك، فهي انتماء إنسانيّ عمل على شحن الشاعر به أنه إنسان إفريقيّ وأنه ذو لون إفريقيّ وأنه منحاز إلى موقف مناهض للعنصرية البيضاء. جماع كلّ ذلك أخذ بمركسة مثالية أساسها التعاطف لا العلمنة ولا العقلنة. والحق أن مثل هذا الموقف ساد الشرق العربيّ أبّان الستّينات وأوائل السبعينات، وكان هذا بالضبط ما وافق تاريخ ميلاد القصائد الفيتورية المشيدة بالزنجية. جماع كلّ ذلك أيضا أخذ بزنجية ذات صيغة فرنسية، زنجية لا تستقي من «سنغور» وحده ولا من «سيزير» بمفرده، وإنما تقوم على انتقائية تختزلهما معا في موقف يعتمد الاحتجاج المبنيّ على استدرار العطف، دون أن تأخذ بوسائل التحديث التي هي تفجير اللغة الفرنسية من الداخل لدى «سيزير» ومحاولة الإبهار بتملّك هذه اللغة لدى «سنغور».

2 ــ 3 وتخطو هذه التراتبية الإيديولوجية خطوتها الثانية، حين تتخذ من العروبية انتماء قوميا عمل على شحن الشاعر به أنه إنسان ينمى إلى مجموعة بشرية لغتها وتاريخها ودمها ومصيرها واحد. ولكي

يبلور هذا الانتماء لم يجد في غير الناصرية ملاذا، فهي التي فجّرت الظروف التاريخية (العدوان الثلاثي، وحرب يونيو)التي حوّلت شكلية الاستقلال في العالم العربيّ إلى حلبة صراع ضدّ هيمنة الاستعمار الجديد اللابس قناع التحالف والحليف، فحرّكت بذلك فيه الوازع الإبداعيّ. وهنا لابدّ من توضيح أن العروبية بهذا المعنى لم تأخذ بعلمانية حزب البعث كما لم تأخذ بعلمية الماركسية، بل ارتكزت على وجدانية تنظر إلى التاريخ الحضاريّ العربيّ نظرة تقديس، فهو النموذج الأمثل للحاضر وللمستقبل.

2 ــ 4 وتتوّج الصوفية الخطوة الثالثة والأخيرة في هذه التراتبية الإيديولوجية باعتبارها رؤية وجدانية يتمّ عبرها النظر إلى الكائن الإنسانيّ والقوميّ من الزاوية الروحية، بعد أن ضمنت الزنجية والعروبية توثيقا لهذا الكائن من الزاوية المادية الخالصة، زاوية فعله في التاريخ وانفعاله به، وتطبّعه بالمحيط وتطبيعه، وصراعه الدائب من أجل ضمان استمراريته. لم تكن الصوفية تلك تواكلا بل حركة، ولم تكن قدّاسا وطقوسا وشعائرا، بل رؤية للعالم من العمق وفي العمق وإلى العمق، بعد أن تكفّلت الخطوتان الأولى والثانية على التعاقب بالنظر إلى الأفقيّ والعموديّ من الأشياء القائمة في التاريخ وفي المحيط وفي عملية الصراع.

2 ــ 5 كيف إذن يمكن أن تشكّل هذه الخطوات الثلاث كلّا منسجما يأخذ كلّ جزء من أجزائه برقاب أبعاضه في سياق متعاقب ؟ لاشكّ أن الإحساس بالكونيّ يغدق على الذات المتأمّلة

وعيا عامّا بالمعضلة الوجودية، ومن ثم يكون هذا الوعي جنسا تحته أنواع. وهذا حال الوعي بالإنتماء إلى الزنجية التي تتنوّع حسب اللغة وتتحد حسب اللون. وحين يغدو الإحساس بالقوميّ هاجسا يضوءل معه الإحساس الكونيّ، فيصبح حيّزا ليس إلّا، في حين يصبح الإحساس بالقوميّ عنوانا تكتسب الذات المتأمّلة معه وعيا بمعضلة الوجود أقلّ عمومية من سابقه. ولذا فإن الثاني نوع لجنسه القريب الذي هو الأول. وهذا حال الوعي بالإنتماء إلى العروبية التي تتنوّع حسب المحيط وتتحد حسب اللغة وتوابعها. وفي هذا المقام يميّز بين وعي حيّز وبين آخر هاجس، باعتبار أن الوعي الهاجس في حاجة أبدا إلى إطار يؤطّر رؤيته، إما عقلانية وإما علمانية وإما علمية وإما وجدانية، ولا يليق بالإبداع الشعريّ غير الأخيرة، وعليها وقع اختيار الفيتوري. هذا ويمكن أن نعبّر عن هذه التراتبية بشكل آخر، هو أن الوعي بالعامّ يؤدي حتما إلى الوعي بالخاص، وهذا حين يكتمل، ينسخ ذاك أو يكاد، وآية نسخه إياه أنه يتطلّب إطارا رؤيويا فيه يصوغ إبداعه (3) .

3

3 ــ 1 كلّ ما سبق ينسحب على ما اشتمل عليه جزآ المجموعة الكاملة من القصائد. غير أن الأمر مع الديوان الذي نحن بصدد دراسته، وهو : «شرق الشمس غرب القمر»، يتفق ويختلف في نفس

الآن مع السابقة عليه : يتفق معها من حيث أن الأقانيم الثلاثة في الكينونة التي ألمعنا إليها هي نفسها فيه. (الزنجية والعروبية والصوفية) ويختلف معها من حيث نسق التراتبية المختلفة وضعها فيه عنه في المجموعة الكاملة. والخطاطة التالية توضّح هذا :

كينونة مج:
1 ـ العروبية = إنسانيا وقوميا ورؤيويا
2 ـ الصوفية = فسيفساء شكلية أولى
3 ـ الزنجية = فسيفساء شكلية ثانية
← تراتبية إيديولوجية

كينونة د:
1 ـ الزنجية = انتماء إنسانيّ
2 ـ العروبية = انتماء قوميّ
3 ـ الصوفية = رؤية وجدانية
← تراتبية إيديولوجية إبداعية

3 ـ 2 أول ما يلاحظ بعد الإمعان في هذه الخطاطة أن كينونة المجموعة تراتبيتها أيديولوجية فقط، لأن جميع أقانيمها تعكس موقفا أيديولوجيا هو الإنتماء إلى الإنسانيّ ثمّ إلى القوميّ ثمّ تأطير الإنتماءين في التصوف كرؤية. على حين أن كينونة الديوان تراتبيتها أيديولوجية وإبداعية في نفس الآن. ذلك أن أقنومها الأول أصبح انتماء إلى الإنسانيّ وإلى القوميّ كما أصبح هو نفسه الرؤية المؤطّرة هذا الإنتماء. أما الصوفية وتليها الزنجية فليستا غير فسيفساء تشكيلية تقوم عليها

بعض الصور الشعرية كما سنرى، فهما بذلك شكل إبداعيّ، أي أنهما مرة مكوّن من مكوّنات الخطاب الشعريّ الفيتوري، ومرّة أخرى إحالة على نص غائب في هذا الخطاب. وبهذا المعنى، فهما لا يرقبان إلى أن يكون فيه موضوعاً أو قضية.

3 ــ 3 أصبحت العروبية في الديوان أقنوما رئيسيا لأن قصائده جميعا اتخذت من القومية العربية ومن الوطن العربي موضوعين لها. (انعكست الموضوعات التالية على مأساة لبنان وبيروت : راهنية الأمة العربية. تشرذمها. زعاماتها الطفيلية. خيانات بعض رؤسائها) وبما أنها فيه بمثل هذه المكانة، فإنها تحوّلت إلى انتماء إنسانيّ حين أدمجت راهنية العرب في راهنية العالم الثالث، وإلى انتماء قوميّ حين وازنتهم بماضيهم المشرق، وإلى رؤية تختزل العالم فيهم فلا تراه إلا من خلالهم. هذه العروبية هنا هي نفسها في المجموعة الكاملة، تمثّل وجدانيّ لا علمانيّ ولا علميّ.

3 ــ 4 ومع ذلك، فهذه العروبية هنا هوية تجد إطارا لها في التاريخ المستعاد وفي القوميّ في الإنسانيّ وفي التشرذم وفي الراهن المحبط وفي البعث المنتظر.

فهي هوية لأنها انتماء، ولأنها كذلك، فلا بدّ لها من تحديد تعريفيّ إما وجدانيّ وإما انتاجيّ للديمومة : الوجدانيّ الذي هو تفسير المجرّدات بالعاطفة هو عبارة عن علامة ثلاثية الأضلاع مادّية : الأفق

الرحيب حيّز أوّل، والجبين حيّز ثان والإكليل حيّز ثالث. تتداخل الأحياز الثلاثة تداخل الرسم في الصورة والصورة في الإطار : الأوّل جغرافية للثاني، والثاني فضاء للثالث، والثالث نقطة ارتكاز لهما، فهو لهما بمثابة الهوية. هذه الأحياز الثلاثة خالدة لأنها جمال مطلق يتكسّر الزمان عليه وضمنه يتكسّر الإنسان سجين وعائيته :

إنّك الأفق حيثما اتّسع الأفق
وأنت الجبين والإكليل.
ويزول الذين تحجب ضوء العصر
خوذاتهم ولست تزول.
ويخون الذي يخون ويبقى
عاليا وجهك الجميل الجليل. (4)

أما إنتاج الديمومة الذي هو تفسير الحضارة بالإنتاج فهو علامة ثلاثية الأضلاع ماديّة أيضا : هي الأرض والمحراث والزارع. وهذه تتداخل فيما بينها تداخل الفاعل في المنفعل به عبر الأداة، وعليه، يكون ناتج هذا التداخل استعادة الهوية باستعادة القضية / الإنتاج. وهنا ينظر إلى هذه من زاوية حقبتين زمانيتين هما حقبة العقم وحقبة الخصب، والمقصود بهذه الموازنة التحقيبية الاستحثاث :

وأقول لكم :
نسيت هذه الأرض وقع محاريثكم أيها الزارعون !
فاستردّوا محاريثكم تستردّوا القضية !
واذكروا أنّكم عرب العصر لا عرب الجاهلية. (5)

3 ــ 5 وهي هوية أيضا لأنها نقل للتاريخ المستعاد من صيغة مهموسة إلى أخرى مجهورة. المهموسة طفوحات مرضية تبدو على «الأنتم» المرموز بها إلى راهنية تاريخ الأمة العربية، وهي طفوحات تكتشف بالقياس إلى ما يناقضها من أعراض الصحّة البادية على «الأنا» المرموز به إلى الشاعر. والمجهورة استبدال الطفوحات تلك من الأنتم بالصحّة في الأنا، أي جعل أعارض الصحّة بتداولها المحوران الفرد والجماعة. ويتحقّق هذا التداول بين قلب الأنا وبين قلب الأنتم ذلك المغلّف في كتب الرمل. (المساحة = الحقبة = النفط = البداوة) :

يا وطني العربيّ المغلّف في كتب الرمل
قلبي أنا ليس قلبك هذا العليل. (6)

ويستعاد التاريخ إما بإحيائه وإما بتأمّله واستلهامه. وفي كلتا الحالتين، تنتقى صوره الناصعة للسير على هديها من صوره المظلمة لإدانتها واستمداد العبرة منها. إحياء التاريخ يعني إزاحة الستار عن وجوهه الفاعلة وإمدادها بالسيرورة من أجل جعلها قاعدة مفهومية، أما تأمّله واستلهامه فهما إعادة قراءته برؤية جديدة غير الرؤية التي ترعرع فيها يوم أن كان أحداثا تتعاقب. يصبح التاريخ إذن مع الحالة الأولى «كتاب مجد»، ويصبح فاعلوه «أمّة حضارة» :

أأمّة أعطت الدنيا حضارتها
يوما وكانت كتاب المجد حيث فني. (7)

ويصبح مع الحالة الثانية إدانة لمجموعة من الرموز المثّبطة التي عاقت حركة ثوابته ومتغيّراته. من هذه الرموز ما هو بشريّ كبرقوق والخاصكية والقهرمانة، (الجلّاد والأعوان والوصيف) ومنها ما هو رمز بالايقونّي، كالأبواق والقصر. (الدعاية والسلطة) :

وبرقوق غادر منفاه تحت ستار الظهيرة
والخاصكيّة تنفخ أبواقها الذهبية
والقصر يبرق في أصبع القهرمانة... (8)

3 ــ 6 وهي هوية أيضا حين تتحقّق في ذلك الآدميّ الذي عليه أن يقيم قيامة التاريخ، لأن فيه من الآلهية ما يمكّنه من إنجاز مثل هذا الفعل. ليست الآدميّة هي البشرية في أكثر مظاهرها جرمية ومادية، وليست كمالا صوفيا. كما أن الآلهية ليست وثنيّة وليست طقوسية، وإنما هما مجتمعتان فعل إرادة قادرة على تحويل مجرى هذا التاريخ يصبّ في غير مصبّه. من أوصاف هذا الفعل أنه ذو قدرة مجال عملها الأوحد إبادة الحقد والموت والكبرياء، وأداته الوحيدة سلطة القهر العادل. إبادة الحقد من أجل تحقيق التواصل، وإبادة الموت من أجل تحقيق السيرورة فالديمومة، وإبادة الكبرياء من أجل تحقيق التساوي. وهنا لابدّ لهذا الآدمي من التحلّي بسلوك نيتشويّ يقرّبه من الآخر الطافح حياة لأن حياته تبتديء فيه ومنه، ومن الآخر المنطفيء به لأن حياته تنتهي فيه ومنه : «ابتسم وقل كلمتك وامش». على أنه بالنسبة إلى هذين النوعين من الآخر، عليه أن يكون وجها واحدا

يجيب سائله ويهبه دمه ويكون خمرة له وخلاصا. الآخر المبتديء فيه ومنه استمرار له، والآخر المنتهي فيه ومنه قتل له، يفرح للأول ومعه، ويبكي على الثاني ومعه. وعلى حين يرمز هذا الثالوث (الدم والخمرة والخلاص) إلى عيسوية هذا الآدمي، فإنه يرمز في نفس الوقت إلى التركيب الثلاثيّ في أغلب الأنساق الفكرية الفيتورية :

أيهّا البشر الآلهيّ الذي قهر الحقد والموت والكبرياء !
ابتسم للّذين انتهوا فيك وابتدأوا فيك. قل كلمتك
كن رجاء لهم وأجب سائليك
أنت يامن وهبت دمك !
خمرة وخلاصا لأرواحهم وبكيت على قاتليك. (9)

3 ـــ 7 وهي هوية أيضا حين يتداخل فيها الإنسانيّ في القوميّ تداخل مجهول في معلوم يقصد به عملية استبدال دلالة قاصرة بمفهومية شائعة : الأولى مجهولة والثانية معلومة. ذلك أن معلومية المعلوم منهما كونيّة متواطأ عليها، وأن مجهولية المجهول منهما محليّة مغفلة لا تكشف إلا حيث ينتظمها سياق واحد سرديّ هوالقادر على الإفصاح عن ماهيتها : ففي قصيدة «من أحرق قلب الفستقة» (10) يتداخل الجرم المجهول أو ما هو في حكمه بالجرم المعلوم. من هذا الجرم ما هو مكان ومنه ما هو حياة إنسانية. وكلا الجرمين ترميز استعاريّ أول إلى الشهادة والاستشهاد، وترميز استعاريّ ثان إلى وحدة النضال الإنسانيّ :

بيروت (في حكم المجهول) ← غرناطة أو مدريد ← مكان = قوميّ

مصطفي الكردي (مجهول) ← لوركا أو نيرودا ← حياة إنسانية = إنسانيّ

وعليه، يكون ناتج المعادلة كما يلي :

المجهول	المعلوم	رمز المعلوم	رمز المجهول بعد الاستبدال	الناتج
عربيّ	إنسانيّ	الشهادة والنضال	الشهادة والنضال	استشهاد العربيّ جزء من استشهاد الإنسان

ويلاحظ أن الانتقال من القومية (مصطفى الكردي) إلى الكونية، (لوركا ونيرودا) تمّ عبر الشاعر باعتباره وسيلة تغيير كونية. ويلاحظ ثانيا أن المكان ما كان ليكتسب ثقله الروحيّ لو أن هذا الشاعر لم يتنام فيه عبر استشهاده. (مدريد ثم غرناطة) ويلاحظ ثالثا أن الإلحاح انصبّ على العالم الإسبانيّ. أليس أنه رحم بذر فيه الدم العربيّ طيلة

قرون ثمانية ؟ ومن المفارقة العجيبة أن يصبح الأول (الدم العربيّ) وقد كان وسيلة كونية الثاني (العالم الإسبانيّ) في التاريخ متوسّلا بكونية هذا الثاني في الراهن.

3 ــ 8 وهي هوية أيضا حين تستعيد قراءة الأمصار العربية الجريح. هذه القراءة، منها ما كان قراءة إفرادية من منظور العشق ثم التصوف ثم التناسل، تمهيدا إلى قراءة تركيبية مفتوحة : تقرأ فلسطين مفردة على أنّها امرأة العشق الدافئة في الزمن الحارّ، ثمّ تقرأ مسبّحا باسمها كما لو كانت أذكارا صوفية، ثمّ تقرأ على أنها رحم تربيعيّ تنسل منه الأرحام الولود. وبعد ذلك تقرأ هذه المحاور مركّبة بصيغة مسألة الواقع عن هذا التمزّق وعن ذاك التشرذم :

لي سؤال المحبّين تحت سماء التمزّق وحدي
ولأنك أنت فلسطين يا امرأة مثل موج الظهيرة في كبرياء
الظهيرة سبّحت باسمك يا امرأة تلد الأمهات وتولد في الأمهات. (11)

أما لبنان فيقرأ من زاوية هذه المسألة : أي لبنان يراد ؟ ألبنان الراهن أم لبنان المثال ؟ رفض الراهن يحمل في نسغه الجواب تضمينا، وهو إرادة المثال لأن المسألة لا تحتمل إلا هذه الثنائية لا غير، ولأن هذا الرفض نفسه يتمّ عبر ثنائية أخرى : من حضر المأدبة شاهدا ومن استفاد منها غائبا : الشاهد الشارب دم لبنان الملتهم لحمه محلّي، والغائب المستفيد التقسيم والطائفية من شاهدية الشاهد خارجيّ :

صرخت والدم في راحات من شربوا
ولحم لبنان في أشداق من أكلوا

....

....

لبنان. لا. ليس لبنان الذي صنعوا
بالأمس أو قسموه اليوم واحتفلوا
لا. ليس لبنان عرش الطائفيّ إذا
استقوى وألعوبة الحكام إن عدلوا. (12)

والبصرة تقرأ قراءة موازاة ثنائية : فهي من حيث السبي توازي بهولاكو كفاعل فيها، وهي من حيث الإدانة توازي بكلّية العالم كمسؤول عمّا فعل بها. إلا أن السبي يفسّر في الحال الأول باشعال الحرائق في كائنها الحيّ المستضعف إنسانا كان أو نباتا، كما يفسّر هولاكو بغموض هويته، إذا لا يدري أهو في هذا الجانب أم هو في ذاك، كما تفسّر البصرة بنشر فجائعها وانطوائها عليها. وفي الحال الثاني تفسّر الإدانة بتناسخيّة البصرة، حتى لكأنها مطلق حلّ في مطلقية المكان :

هولاكو يسبي فقراء البصرة
يشعل في سعف النخل النيران
والبصرة تنشر في القلب فجائعها
وتكدّس خلف مآقيها الأحزان.

....

....

البصرة في كلّ مكان.
الكلّ غريق في دمها.
لا أحد بريء من دمها. (13)

وفي النهاية، تقرأ بيروت قراءة انعكاس لأنها تكتشف نفسها مرتسمة على مرآة أحد العناصر الأربعة وهو النار التي البرق بداية تأججها والحريق ذروة توهّجها والدم علامة فتورها الدافيء. كلّ هذه الأطوار النارية وعاء يحضن جسدها كلّه :

والأميرة بيروت تدخل مرآتها في رداء من البرق.
كانت لبيروت حينئذ هالة امرأة غسلت جسمها في حريق. (14)

إلا أن الدم وهو فتور النار خارج الجسد ودفئها في داخله، لم يكن سوى سائل حيّ تولّد من انفعال هذا الجسد للحريق. إنه سائل لا يسقاه الشارب مرتين، لأنه دم واحد فلا يراق مرتين، ولأن بيروت تعرف كيف تنجو من الوقوع في الأحبولة في المرة الثانية :

ولو أن بيروت لم تسق عشاقها من دم مرّتين. (15)

والدم هذا إن تأبّى على العبّ مرّتين فلأنه ينهض لقتال النار التي سفحته انتقاما منها فيحاصرها إلى أن تنطفيء، وبانطفائها تتحقّق له ديمومة الدفء :

والذبيحة مشدودة في موائدهم. دم تلك الذبيحة كان يقاتلهم وحده. كان جيشا يحاصر جلّاد بيروت منتقما ويقرّر ألا يموت. (16)

وهنا يلحّ على أنثوية بيروت بشكل يجعل هذه الأنثوية تتراوح بين الإمارة صفة جوهرية وبين الذبح عرضا طارئا. يتوسّط الحدّين هذين عاشق وسفّاح : العاشق متولّه بإمارتها عابّ دمها حال الذبح عبّ حسيز وامق، والسفّاح متعلّل به عابّ إياه عبّ المنتشي المأخوذ بنشوته. أليس أن بيروت في العصر العربي الراهن وانطلاقا من مفارقة الإمارة والذبح واقعة تحت سيادة سلطة الحريم ؟ وهذا وضع أنتروبولوجيّ تشريحه هنا مما يبعدنا عن النّص الفيتوريّ لاضطرارنا إلى التوسّل إليه باتخاذنا معرفية خارجية عنه. ثم أليس أنها انطلاقا من هذه المفارقة تشكيل صورة شعرية نكتتها البلاغية هي التهويل، تهويل ما آلت إليه هذه البيروت وهي أميرة وهي امرأة ؟ إن ذلك ليس إلّا وضعا إبداعيا أساسه التشخيص الاستعاريّ.

3 ــ 9 وهي هوية أيضا حين تعي شتاتها الحاليّ عبر فضاء لا يناسب وجهه الجغرافيّ ظهره الديموغرافيّ. ولذا فعندما يتعارض الوجه والظهر هذان، تقول العملة العدد ولا تقول الوحدة :

وبي من الهمّ ما بالكون من عرب
ضاقت بهم صحراء التيه فاقتتلوا. (17)

ولذا أيضا تطفح على الوجه والظهر هذين أعراض الشكوى من أسقام الذات وأسقام الموضوع فيصبح الدم الذي كان سلالة سائلا كيماويا وحضارة استهلاك :

أنا الشقيّ بهم لم يبق في دمهم
من عزّة النفس إلا النفط والعلل. (18)

هذا الشتات يتمّ في عصر التهافت (الانبهار بالهويّة الوافدة) العربيّ (ممارسة الهويات بدل الهويّة) السعيد، (الفرح بالهويات خارج الزمان والمكان) فهو وعاء (قبّعة) يتحوّل فيها الخامّ (الدم) إلى مركّب كيماويّ ناتج عن تفاعل العناصر الجوفيّة آنيّ المفعول زائف الماهيّة. (النفط) ولعصر التهافت هذا كوكب نحسه هو برج الرمل (الحيّز العربيّ)، فتحت ظلّه كان ميلاد هذه المعادلة :
القبّعة = الدم = النفط = الرمل = عصر التهافت العربيّ السعيد :

.... والقبّعات المليئة بالدمّ والنفط.
في أيّ برج ولدت ؟ إذن برجك الرمل.
كوكب عصر التهافت في الأفق العربيّ السعيد. (19)

وتتّوج الهزيمة عصر التهافت هذا. الهزيمة التي لعجينها الترابيّ نكهتان : محفّزة وإحباطية : المحفّزة مستساغة لأنها دعوة إلى التجاوز، والإحباطية ممجوجة لأنها أعراض مرضية مزمنة أدمنتها الذات إلى حدّ تعليمها الجباه بسمة العبودية : الهزيمة محفّزة قبيحة الجنس جميلة النوع، (جمالية القبح على رأي «ميرلوبونتي») وهي إحباطية قبيحة قبحا مركّبا في الجنس وفي النوع وفي الفصل وفي الخاصة :

وأشهد أن التراب الذي عجنته الهزيمة كان جميلا
وأضحى قبيحا، وأقبح من لونه في العيون

تألّق تاج المهانة فوق الرجال جباه العبيد. [20]

وتتوّج الخيانة الهزيمة هذه من حيث أن الأولى نتيجة حتميّة للثانية، لأن إدمان الهزيمة يقود إلى التطبيع والتطبيع يقود إلى احتيار الغالب. هذه الخيانة تفاعل بين عنصر هو النار باعتبارها مطّهرة لا مبيدة، وبين صورة استعارية هي الصلب يتساوى فيها المستعار والمستعار له، وذلك منذ الإحالة المسيحية الأولى إلى «آخر مصلوب». غير أن هذا الصلب يتعاقب على مكانين اثنين مختلفين بالتصريح وعلى زمانين اثنين مختلفين بالتضمين في المكانين هذين. على أن الحديث منهما بؤرة للقديم. هذا ويمكن أن يصبحا حديثين عن طريق تأويل الإحالة التاريخية، إلا أنه مع التأويل يتحقّق التسلسل الحدثّي التاريخيّ، ومع عدمه يسقط اللاحق الحاليّ على السابق المنصرم، وتكون نكتة المفارقة ضداً على بلاغة التاريخ حين يكرّر هذا نفسه في زمانين ومكانين مختلفين :

ــ الخيانة = الصلب = الإثم = كبيرة الكبائر لا تطّهر منها النار.

الصلب = في القدس الحديثة. (الزيارة صلبت الظرف والمظروف)
الصلب = في القاهرة التاريخية. (الفاطمية أو المملوكية)

الصلب = في قدس الزيارة. (الصلب المزدوج)
الصلب = في قاهرة الساداتية وما بعدها. (الصلب المفرد)

لكن فهم الصلب غير مؤول راجح هنا، إذ أن الفعل الماضي (عادوا) أفادنا أنّه بعد أن تمّ وقعت العودة إليه :

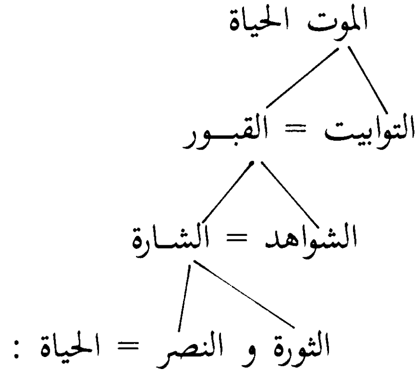
من الإثم لم أغتسل. أو تغسلني النار ؟ من صلبوا الله في القدس
عادوا إلى صلبه اليوم في ساحة الأزهر الفاطميّ. حصاد طويل
من الثمر المرّ يا أورشليم ! وتمشين مختالة الخطو فوق التراب
المقدّس والخائن العربيّ يخبّيء رعشته في ثيابك ؟ (21)

وينتج عن هذه الخيانة محاولة التعرّف على موقع فاعلها من الإعراب في المنظومة العامة، وهذه منها الماورائيّ (الرّبّ والقدر) ومنها الجغرافيّ (الإنتماء إلى عواصم كدمشق أو إلى بلد كمصر) ومنها القوميّ. (الإنتماء إلى العروبية) وذلك عن طريق صياغة مجموعة من الأسئلة التي لا تستفهم عن مجهول بقدر ما تسعى إلى دحض معلوم جوابها، وهو أن الخائن ليس فيها لا في العير ولا في النفير :

من أنت ؟ يا أنت ! لا ربّ ولا قدر
ولا دمشق ولا مصر ولا العرب
مرّغ جبينك أنّي شئت تنحسر الـ
مأساة يوما ويكسو الساحة الغضب. (22)

3 ــ 10 وهي هويّة أيضا حين تجعل النصر شارة تتعلّق بها إلى حدّ أن تصبح مسلّمة حتمية ونهاية طبيعية لنضالها. لكن هذا النصر يمرّ عبر قناة عالم مثاليّ ينقض العدل فيه الجريمة كما ينقض عنصر الماء (البحر) عنصر النار (الشمس)، بحيث تصبح برودة الأول أغلب على

حرارة الثاني. (صورة : «الشمس ترحل في البحر» تشبيه تضمينيّ يحتّمه السياق) أما علامات هذا النصر فهي حياة الأنصار في موت الأعداء، ويتجلّى في المعادلة التالية :



... ياكلّ شعبي ! الجريمة والعدل وجهان،
والشمس ترحل في البحر. لكننا سوف نبني توابيتهم ذات يوم،
وسنرسم فوق شواهدها شارة الثورة العربية والنصر. (23)

4 ــ 1 وحين نعرّج على الأقنوم الثاني من أقانيم الكينونة الثلاثية وهو التصوف، نلاحظ أن مجموعة من المصطلحات الصوفية تتردّد في الديوان قائمة بنفس الدور الذي تقوم به أدوات معنوية تسمّى حسن تخلّص، لأنها تنقل الدلالة من موضوعة إلى أخرى دون مساس باختلافهما ولا إحداث شعور بفجائية هذا الانتقال.

4 ــ 2 بعض هذه المجموعة يتكرّر، وبعضها الآخر لا يتكرّر : المتكرّر أساس الصورة الشعرية، حتّى لكأنه موضوعتها الدلالية أو موضوعتها

البؤرة. من ذلك العشق والوصول والحجاب والفناء. أما الذي لا يتكرّر، فتابع علائقيّ للمتكرّر. من ذلك الوصل والتماثل والتواصل والسرّ والكمال وكمال الكمال واليقين والطاعة :

علاقة المتكرّر بغير المتكرّر

العشق:
- الوصل = علاقة سببية
- التماثل = علاقة انعكاس

الوصول ← التواصل = علاقة تناقض

الحجاب ← السّـر = علاقة مضايفة

الفناء:
- **الكمال = علاقة ظرف بمظروف = الوحّد**
- **كمال الكمال = علاقة مظروف بظرف = أوج التوحّد**
- **اليقين = علاقة صدق بمصدوقه = الحقيقة**
- **الطاعة = علاقة فاعل بمنفعل = أوج الحقيقة**

... خذ باليقين فإنك أنت الحجاب الذي حجب السرّ عنك،
وتلك الشموس التي اشتعلت في القباب الملوّنة اشتعلت بك منك. [24]

كان عشقيّ مثلي يضمّ جناحيه إثر الزيارة. لم أكتمل في عبادتها
ولهذا تلاشيت دون القبول. [25]
جاءني الصوت. يكتمل الطقس حين تصير المحبّة لؤلؤة في فم النار.
قلت : وبرهان عشقي ؟ قال احتراقك. قلت : وعشقي ؟ قال وألقى
بدهشته فوق وجهي : احتراقك في الشيء أدنى من الشيء
والعشق أن لا تحول. [26]

نهر فاغتسل أيها المغتسل !
آية العاشق الفرد أن يمتثل
ولقد يصل الماء أو لا يصل
والمدى نجمة في المدى ترتحل
فاسقهم منك في روحهم تشتعل
وامش تحت حوائطهم تكتمل. [27]
ولمّا تباركت في زينتي ذات يوم تلاشيت في حجبي وانتهيت إليك.
ومن أنا في العاشقين إذا لم تكن أنت عشقي ؟ [28]

كان الحضور الجميل احتمالا
وكان كمال الكمال اختلالا.
وجرّدني من سحابته ذات يوم وقال : احتجب فالتواصل عبر الوصول
والتماثل بعض الدنوّ الجميل. [29]

4 ـ 3 وهناك حالات صوفية ثلاث ليست مقامات : واحدة منها تعني حلول الشيء في الشيء : (النقطة في النقطة)

الآن تبتدىء النهاية
الآن تنتهي النهاية
مستلب كأنما لم تكن النقطة في النقطة في لؤلؤة العينين أنت. (30)

والآخريان تفيدان مقابلة بين شيئين إما بالتوازي : (تقابل الإسم الأعظم بالإسم الأصغر اسم العابد)

وكان اسمه عابد العابدين
وكان اسمك القادر المقتدر. (31)

وإما بالتفرّد حيث ينتفي الاستيحاش : (التفرّد بالمحبوب)

كان كأس دمي طافحا فاستحيت وأفرغته
مثل من سبقوني
أتراني جاوزت قدري
لأني قد تفرّدت في الهوى بجنوني. (32)

4 ـ 4 والخلاصة أن المظهر الصوفّي في الديوان ليس إلا تجلّيات إبداعية تتخذ شكل صور شعرية تركيبية دلالتها العامة أساسها وليس نسقها النظميّ. هذه الصور غالبا ما تكون وسط القصيدة عبارة عن حسن تخلّص يسهل الإنتقال من موضوعة إلى أخرى حتى ليجعل تباعدهما تقاربا يخدم الموضوعة العامّة في القصيدة وذلك عن طريق هذا الرابط الدلاليّ الشفّاف.

وهكذا يصبح معاد المتكرّر وغير المتكرّر من هذه المصطلحات ومثلها الحالات الثلاث، هو الوطن حينا، (الوطن العربيّ) وهو حينا آخر نبيّ الوطن، (جمال عبد الناصر) وهو حينا ثالثا شاعر في لبنان (إلياس أبو شبكة).

هذه البدائل العربية (الوطن. النبي. الشاعر) القائمة لدى الفيتوري مقام الله لدى الصوفيّ، تحوّل التصوّف في الديوان إلى مسار غير مساره الحقيقي : من اللاهوتيّ إلى القوميّ، مما تصبح معه هذه المصطلحات وتلك الحالات مكوّنا من مكوّنات الفعل العروبيّ مضمونا، وصورة شعرية لهذا المضمون شكلا.

5

5 ـــ 1 وتبدو الزنجية في الديوان كما لو أنها تأثيث للنصّ الشعريّ الفيتوريّ بفسيفساء منتزعة من المناخ الإفريقيّ هي في الحقيقة تشكيل لصور شعرية تنقلها الذاكرة من المرحلة السابقة الإيديولوجيّة (مرحلة المجموعة الكاملة) وتعيد صياغتها هنا ترقيشا لا تفكيرا.

5 ـــ 2 من هذا الترقيش ما كان جغرافية أو لونا أو زنجيّة أو جسدا زنجيّا حيّا أو جسدا زنجيّا ميّتا. وعليه، فالافريقيّ حاضر في النصّ الفيتوريّ هذا باسم الصقع الذي ترعرع فيه، واسم لونه القاتم السواد، وباسم زنجيّته وهي فخره وعذابه، وباسم جسده حياّ في تقاطيعه المنحوتة، وباسمه ميّتا في منفاه.

5 ـ 3 لا يحتمل الصقع الجغرافيّ الإفريقيّ معنى المحدود بل معنى اللامحدود. ذلك أن «الغابة الاستوائية» قاسم مشترك أعظم بين كثير من هذه الأصقاع الإفريقية : فهي كصقع محدودة جزئيا، وهي كاستوائية لا محذودة كلّيا. وحين يتداخل المحدود في اللامحدود يؤشر هذا التداخل على محدودية اللامحدود بشكل يجعله ترميزا لانفعال الحالّ للمحلول فيه : يتمّ هذا الترميز باستحضار توابع المحلول فيه واعداقها على الحالّ كي يأخذ سمتا يختلف به عن غيره. لهذا فإن كانت توابع «الغابة الاستوائية» هي الهجير الفاعل في قتامة البشرة سوادها، والتعايش بين الإنسان والحيوان الفاعل فيهما طقوسية وثنيّة، وبدائيّة المحتوى الفاعلة في هذين الأخيرين استيقاظ الجسد واستيحاشه، فإن نفس هذه التوابع أعراض للحالّ أيضا :

ويغادرني في نعاس الظهيرة.
أعراسي الغابة الاستوائيّة...(33)

على أن «الغابة الاستوائيّة» هنا ليست سوى صورة شعريّة (لا دلالة إيديولوجيّة لها كما هو الحال في المجموعة الكاملة) وسط تهويمات صوفيّة تخدم بدورها المنحى العروبيّ، مما يؤكد أن الزنجيّة هنا صورية وليست مقصودة لذاتها.

5 ـ 4 لعلّ اللون الأسود أكثر تعبيرية من كلّ الألوان، لأن الأشياء فيه وبه ومعه تأخذ جرميتها الكاملة، حتّى لكأنها فيه وبه ومعه

تضاريس تكاد تقفز من فضاء اللوحة الأسود. وكما يعتبر هذا تفسيرا تشكيليا حيث يتدخّل اللون الأسود الخامّ فيفيء تعبيرية بالحقيقة لا بالمجاز ولا بالكناية على ما قذف في وعائه من الشخوص أو اللاشخوص، يمكن أن يفسّر على أنه صورة شعرية استفادت من صورة بصرية، فنقلت دلالتها التعبيرية اللونية إلى دلالة تعبيرية لغوية. وهنا وبناء على ما سبق، تتخذ تعبيرية اللون الأسود سمة ردّ الاعتبار إلى اللون هذا في الجماليّ وفي الترميز وفي التوحيش وفي التطيّر. وهذه جميعا تنسحب على زنجيّة الجسد حيّا وميّتا.

5 ــ 5 يستعيد اللون الأسود جماليته لأنه القادر وحده على إبراز تقاطيع الجسد الحيواني (الفرس)، فهو بهذا المعنى تأثيث تزيينيّ لصورة شعرية مؤداها أن الملوك ألوان وأن لون الوطن واحد، وهذا ما يجعل هذه الصورة تصبّ في محيط العروبية هاجس الفيتوري :

... حيث الخاتم الأعظم في الأصبع والأصبع في الخاتم.
أزهار بساتيني على أجسادهم فوق الجياد السود.
لا أجمل من أعناقهم فوق جياد العربات السود. (34)

5 ــ 6 ويستعيد ترميزيته حين يشير إلى عذاب الاستغلال الجسدي إذا أطّر الجسد بالسواد الأصليّ والعرضيّ (سواد اللون وسواد فحم المنجم). هذه الترميزية مزدوجة الدلالة بصرية تصبّ في محيط صورة لغوية أساسها العروبية :

مثل رأس مجلّلة بالسواد تطلّ معذّبة من ثقوب المناجم. (35)

5 ــ 7 ويستعيد قدرته على توحيش الكائن بتشويه صورته، (على اعتبار تشويهيّة الملامح الزنجيّة) وهذا بعد تشكيليّ آخر يذكّر بالإتجاه الوحشيّ الذي ساد تاريخ الرسم الأوربيّ منذ النصف الأول من القرن العشرين على يد كلّ من «ماتيس» و «فلامينك». وكما ثار هذان على الانطباعية الثقافية محلّين محلّها الانطباعية البصرية عن طريق تشويه المرئيّ المنسّق، فإن تشويه الشيء المرئيّ هنا يحلّ انطباع التهويل والتضخيم محلّ التناسق، وبه لا يعكس مضمونا زنجيا ذا منحى إيديولوجيّ بقدر ما يعكس صيغة تهويليّة لنبيّ مدينة فاس الذي قتل بين مرحلتي التواصل والوصول المتناقضتين. وليس النبيّ هذا غير واحد من أنبياء العصر العربيّ الفاعلين فيه :

... مثل رسول يقوم من الموت في الكتب الأزليّة.
أصفر. أسود. أزرق. عيناه شمسان زنجيتان مثبتتان
على لوحة الغيب. قال الذين رأوا لحمه يتناثر ذات صباح. (36)

5 ــ 8 ويستعيد خاصيّة التطيّر منه، تلك التي رسّختها في الأذهان الأسطورة الغنوصية القائمة على ثنائية الأشياء. (الطيرة من الغراب والتفاؤل بالشمس) وسواء أكان اللون الأسود لونا للمالك أم للمملوك فإن عليه وهو يحتفظ بسواده أن يخرج من قمقم دلالة متطيّر منها إلى فضاء أخرى يتفاءل بها، وفي ذلك تغيير واقع أسطوريّ بواقع حقيقيّ يجعله سياق القصيدة استبدالا لواقع عروبيّ قاتم بآخر مشرق :

من توّجني ياملك العتمة مملوكا على العتمة ؟
هل تبصر هذا الأفق المشمس في عينيّ ؟
إنّي أتحدّى عرشك المصبوغ بالمجد ومن علّقني في قفص الدمية.
لا أملك إلّا خوذة الريش ولا أحمل إلّا صدف البحر. (37)

5 ــ 9 كلّ ما سبق منصرف إلى زنجيّة الجسد الحيّ كالفرس الأسود والرأس المجلّل بالسواد وعيني النبيّ السوداوين وملك العتمة ومملوكها. أما ما سيأتي فمنصرف إلى نفي جسد الإنسان الزنجيّ في موته على أرض ليست أرضه، (تجارة الرقيق) وفي دم ليس دمه. (التهجين) أليس أن هذا النفي في الزنجيّ نفي عروبيّ بالتضمين لأن كلا النفيين تعايشا إيديولوجيا في النصّ الفيتوري. بهذا المعنى تكون إحالة النفي التضميني أبلغ من إحالة الأصلي في هذا النصّ مما يجعلها صورة تشكيليّة لا غير :

ومثلما أردتني
حلّقت في غير سمائي وتساقطت شهيد
العصر في غير ترابي ودمي. (38)

في الصورة البؤرة :

6

6 ــ 1 تدور هذه الكينونة الثلاثية حول بؤرتين أو موضوعتين Thèmes بالمعنى الذي يريده «باشلار» للصورة، (39) وبالمعنى الذي

يريده «جان بول ويبير» لمفهوم Thème المرادف لأحدى الكلمتين العربيتين : «البؤرة» أو «الموضوعة». (40) هاتان البؤرتان هما الموت والليل.

6 ــ 2 وليس المقصود هنا من هاتين البؤرتين أنهما ذواتا حضور شكليّ بقدر ما المقصود منهما دلالتهما النفسية المتجذّرة في وعي الطفولة الفيتورية، تلك الدلالة التي تستفاد من تكرارهما التكرار الملحّ العفوي في مختلف قصائد الديوان.

6 ــ 3 بهذه المقصدية تعود ان معا وعلى كثرة إلى المضمون، في حين يعود الليل وعلى قلّة إلى الشكل : تعود الموت إلى الإيديولوجيّة العروبية، (الموت والموت المضادّ من أجلها) ويعود الليل إلى الإيديولوجية الزنجيّة باعتبار أن الجامع بينهما لونيّ، (جمالية ولا جمالية هذا اللون) كما يعود وعلى قلّة قليلة على هذه الزنجيّة باعتبارها تأثيثا شكليا زمانيا للنصوص التي ورد ذكره فيها. ذلك أن الليل فسحة زمانية يتستّر فيها على العاهات المستديمة الناجمة ممّا مورس على هذه الإيديولوجية من تزييف. وهكذا يصبح الليل ترميزا ايقونيا معناه الإحباط.

6 ــ 4 من المؤكد أن صورة الموت متجذّرة في الذاكرة الفيتورية حتّى لكأنّها دمغتها بدلالتها منذ أن عاش الشاعر مخاضها طفلا إبّان الحرب العالمية الثانية في منطقة انبثاقه وقد عبرتها النازية، (العلمين. الاسكندرية) ثم تنامى هذا التجذّر إلى أن أصبح تعايشا مكتملا

بينهما إبّان يفاعته يوم أن تأجّجت ثورات التحرير والتحرّر في أرجاء العالم العربي، (مصر. تونس. المغرب. الجزائر. ليبيا. العراق. اليمن) ثم أضحى الآن ذلك التعايش هاجسه في لبنان وفي بيروت بالذات.

الموت

↓

الطفولة ←

ماض بعيد	=	**التجذّر**	=	**الحرب العالمية الأولى**
ماض قريب	=	**التعايش**	=	**الثورات العربية**
حاضر راهن	=	**الهاجس**	=	**الموت في لبنان**

6 ـ 5 ومن المؤكد أيضا أن صورة الليل متجذّرة في الذاكرة الفيتورية حتّى لكأنها دمغتها بدلالتها منذ أن عاش الشاعر في السودان طفلا عذاب اللون منعكسا على صورة الليل، ومرورا بعيشه هذه الصورة إرثا ايديولوجيا إبّان يفاعته، (مرحلة تزنيج الماركسية) وانتهاءا إلى انطباق هذه الصورة على واقع عربيّ راهن أحبطه التشرذم. (مرحلة تزنيج القومية)

الليل

↓

الطفولة

ماض بعيد	=	**الوعي باللونية**	=	**مرحلة الوعي الذاتي**
ماض قريب	=	**الإرث الأيديولوجي**	=	**مرحلة الوعي الزنجيّ**
حاصر راهن	=	**الإحباط المستمرّ**	=	**مرحلة الوعي العروبيّ**

6 ـ 6 ولكي نفصّل الكلام في الموت لنخلص منه إلى تفصيله في الليل، نشير إلى أن النصوص الفيتورية في هذا الديوان تعرض هذا

الموت على النسق الآتي : على أنه ذو دلالة تجريدية، وعلى أنه واقع على زمان أو شيء أو جسد أو أجساد، وعلى أنه ذو علاقة تضايف تربطه بالمجد.

6 ــ 7 تأتي دلالة الموت التجريدية من حيث أنه فوق الحجمية، ولذا فإن الأحياز لا تسعه لا طولا ولا عرضا ولا عمقا، ومهما رحبت :

لا تدخل الموت في أرض ولا أفق. (41)

ولأنه فوق الحجمية فهو أوج الجلال والمهابة :

ما أعظم بهو الموت ! (42)

ولأنه أوج الجلال والمهابة، فإن محاولة تبعيضه بجعله إرثا يورث تحوّله إلى ولادة في الموت وموت في الولادة، ذلك أنه يتأبّى على التشييء كغيره من المجرّدات :

يقتسمون إرث الموت في زمن الولادة والدمار. (43)

وهذا ما يؤديّ إلى تحصيل حاصل حين يدخل الشيء في نفسه :

داخلا في علاقة الموت
بالموت كما تدخل الفصول الفصول. (44)

وتزداد تجريدية الموت حدّة حين يصبح رهين علاقته الثلاثية : المميت والموت والميّت، بحيث يتوسّط حدّين فاعلا له ومنفعلا به، أي

حين يغدو فعلا ساديا يحصر علاقة الفاعل بالمنفعل في نفي الكينونة بالوسط عن الثاني يفعل الأول، الشيء الذي يبدو معه هذا الموت كما لو أنه وسيلة وغاية في نفس الآن :

وليسكر القاتل بالموت فإنّي بك سكرى. (45)

وعليه، فإن تجريديته تلك تبطل مفعوله فيغدو وكأنه قوّة منفعلة (وقد كان قوّة فاعلة) يجوز عليها ما يجوز على مثيلاتها (الموت حقيقة قوّة فاعلة لا منفعلة) من أنها تؤخذ بجرائرها أو تغفر لها خطاياها. هكذا إذن تسقط مصداقية الموت هذا فيستردّ منه ما أخذه دون إرادته ولا إذنه، بل بإرادة وإذن المأخوذ نفسه. وذاك ما يصبح معه الوسط (الموت) الذي هو أداة الفاعل انفعالا، والحدّ الثاني (الميّت) فاعلا وقد كان منفعلا، في حين أن الحدّ الأول (المميت) الذي هو الفاعل يلغى لأن المنفعل به قام مقامه :

إذا لم تعد الآن فلن أغفر للموت ... (46)

6 ـــ 8 ويقع الموت على الزمان لأنه كائن واقع تحت طائلة الكون والفساد شريطة أن يكون زمن دهشة صحوه تعتيم وقيمة فارغة من محتواها. وإلا فإنه دهريّ أزليّ قبلياته وأبديّ في بعدياته :

زمن الدهشة والصحو يموت. (47)

وما ذاك إلا لأنه تنازل عن جوهريته وتناسخ في عرضية الإنسان فأعطى حكمه، وهو الفساد بعد الكون :

وتدري أنت أن الزمن الميّت في الإنسان
إنسان يموت. [48]

إلا أن الزمن الدهري الأزليّ الأبيد غير المتنازل عن جوهريته مستبدلا إياها بعرضية الإنسان يغدو حيّزا للموت، فيه تتوازن جماليته إن في منتصف الليل وإن في الفجر. ويكون أساس توازنه فيهما أن الليل يخفي منه بالعتمة والسكون ما يفضحه الفجر بالنصاعة والحركة، وأن الفجر يكشف عن عاهته التي يسترها الليل. فلماذا الإلحاح على تحييزه بالليل والليل بين الإنتصاف والانطفاء ؟ لاشكّ أن تحييزه بالنهار احتفالية قدّاسية لا عفوية فيها ولا احتمار : الليل أليق بالموت ـــ الولادة :

ليس ثمّة ما يجعل الموت في الفجر
أجمل منه إذا انتصف الليل.
موتك كان الولادة. [49]

ويقع الموت على الأشياء ومنها المنفعل بالزمن كفلك القمر تتحدّد أطواره حسب محيضه الشهريّ ينقله من الخفاء إلى التجلّي. كما أن منها الميّت أصالة كالتماثيل موتها في لا حركيّتها، وحياتها في طاعتها المطلقة لازميل وأنامل النّحات : القمر أمّا ميّت أي منطفيء متواطيء مع سلطة الستر والحجاب في الليل :

أعراسي الغابة الاستوائية.
القمر الميّت. [50]

وأمّا ميّت أي حامل حملا كاذبا :

حاملة قمرا ميّتا. (51)

وأما ميّت بإضافته إلى الموت إضافة الصفة إلى الموصوف. وعليه، فإنه يرمز ايقونيا إلى ايماضة اللحظة الحاسمة الفارقة بين آخر حركة للاشتعال وبين أول سكون للانطفاء :

كيف تعانقتما أبدا. قمر الموت
والأفق المتصدّع بالمجد والكبرياء. (52)

أمّا الميّت من الأشياء أصالة كالتماثيل فإن موته مؤكد لأنه لا يستجيب إلى ذلاقة الازميل ولا إلى الدقّة في العين اللاقطة وفي الأنامل المنفّذة. ذلك أنه لو كان حياّ لجعل لوعائه (التوابيت) الذي يحويه ذاكرة :

فالتماثيل ميّتة والتوابيت فاقدة الذاكرة. (53)

6 ــ 10 ويقع الموت على الجسد الإنساني مفردا فيكتسب بوقوعه ذاك بلاغته أو بعثه أو سيادته أو اشتهاءه أو انطفاءه أو حلوله. وعليه، فإن بلاغة الموت أن يصوغ الجسد الإنساني المفرد في موته سؤاله :

من أغرق في اللعنة بيروت ومدريد ؟
ومن أحرق قلب الفستقة ؟
تسأل في موتك يامولاي !... (54)

وأن يتشابه في موته على نفسه بكائن ميّت آخر يرمز به ايقونيّا إلى ما لا يجب الرمز به إليه، إسقاطا لحالة شاذّة عليه حيّا وميّتا (المكر) :

يامولاي ! كم تشبه في موتك أنثى الذئب ! (55)

وأن يتأبّى ميّتا على الموت بسبب من تحوّله إلى ذاكرة عاملة في الأشياء وفي الأناسيّ في الأسماء وفي المسمّيات :

أيها البشر الآلهيّ الذي قهر الحقد
والموت والكبرياء. (56)

وأن يشتدّ تأبّيه على موته إلى درجة ألّا يموت وهو ميّت. وتلك قمّة بلاغة الموت :

جسد بالغ الموت يحسب أن لن يموت. (57)

وبعث الموت أن يحاسب الجسد الانسانيّ المفرد قاتله وهما معا ميّتان وفي حالة نفسية واحدة هي الخجل من أن يكون أحدهما فاعلا والآخر منفعلا به :

وهذه إجابة السؤال
يجلس بعد موته الجنرال
خجلان إلى مائدة الكرديّ
والكرديّ خجلان
إلى مائدة الجنرال. (58)

وأن يستيقظ من موته ميّتا على صيغة تشبيه فيه المشبّه به أضعف من المشبّه :

كيف يستيقظ الشهيد من الموت ؟ كأن لم يمت. (59)

وأن يستيقظ من موته ميّتا على صيغة مجازية تجعل ذكراه المدوّنة حياة في موت :

مثل رسول يقوم من الموت في الكتب الأزليّة. (60)

وسيادة الموت أن يتشخصن فوق الجسد الانسانيّ المفرد محتفظا بالكبرياءين، كبرياء الوعاء وكبرياء مافيه :

وكان الموت يمشي سيّدا فوق عظام الجنرال. (61)

واشتهاء الموت أن يوازي الجسد الإنساني المفرد بما يجعله حدّا فاصلا بين حياته وموته على الحقيقة لا على المجاز، باعتبار أنه من المحتّم الجواز إليه بذاكرة : (أغنية)

فتشهّيت أغنية قبل موتىّ ياأورشليم ! (62)

وانطفاء الموت أن تنقرض في الجسد الإنساني المفرد ذاكرته التي لو عاشت تأسطرت، وبما أنها انقرضت فهي انطفاء في المطلق :

مات الملك السادس
مات الملك السادس. (63)

وحلول الموت أن يتلبّس الجسد الإنساني المفرد موته وهو حيّ، كما لو أنه يحمله على ظهره أو في نسغه :

كان الموت يلبسني حيّا. (64)

6 ـ 11 وحين يقع الموت على الأجساد يكون ذلك بمثابة دخول في لعبة إبلاغية أساسها معاد الضمائر تتوزّعها شبكات التكلّم أو الخطاب أو الغيبة : فالمتكلّم الحيّ تمتدّ شبكته منه إلى الموتى الغائبين يستفهمهم عبرها عن جوهر أجسادهم لا عن أعراضها :

لست أحسد ميتا على أنه لابس كفنا
من حرير، ولكنّني أسأل الميّتين. (65)

والمتكلّمون الأحياء أو الأموات تمتدّ الشبكة منهم إليهم من أجل أن تفصح عن اشتهاء أجسادهم للموت اشتهاء شبقيّا، ومن أجل أن يكون الموت المشتهى متداخلا في نفسه مع أبديته :

والموت كما كنّا اشتهيناه
يعنّي أبديا في حضور الموت. (66)

والغائبة الحيّة تمتدّ الشبكة منها إلى الأجساد الميّتة الغائبة استفهاما عن هويتها، إذ هي معروفة تعريف تنكير. في حين أن هذه الأجساد معرّفة لأنها راهن، ولأن فيها الحيّ قابل الموت (الأطفال) والميّت موتا تربيعيّا :

ما اسمها تلك التي تذبح

في ساحتها الأطفال والموتى ؟ [67]

والغائبون الموتى تمتدّ الشبكة منهم إلى بعض أجسادهم الميّتة استجداء للإنقاذ وتسوّلا للخلاص :

لمن إذن نصب الموتى سواعدهم ؟ [68]

والمخاطب الحيّ تمتدّ الشبكة منه إلى الأجساد الغائبة الميّتة نهيا له عن اعتبار موتها دخولا في الموت أو رحيلا إليه، لأنه بهذا انتقاض للحالة :

لا. لا تقل دخلوا في الموت أو رحلوا. [69]

والمخاطبون الأموات تمتدّ الشبكة منهم إلى أجسادهم الميّتة أمرا لهم (التفات بلاغيّ تحوّلت فيه الغيبة إلى خطاب بفعل لام الأمر) بالعزوف عن الفاني والجري وراء الخالد :

فليركل الميّتون مقابرهم. [70]

وتتجمّع خيوط شبكات هذه اللعبة الإبلاعية حين تتكتّل الأجساد الميّتة فتصبح أمّة وحدها هويتها في موتها :

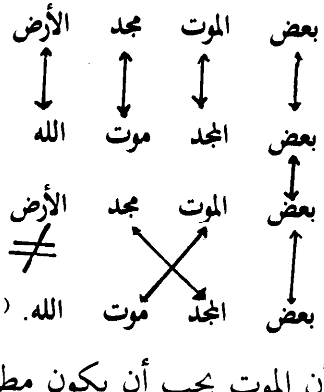
إنني أمّة حصدت موتها. [71]

6 ــ 12 ويوازن المجد الموت باعتبار ما بينهما في النصوص التالية من علاقة تضايف حتىّ ولو حلّ الثاني منهما محلّ الأول. غير أنهما في هذه الحالة ينتجان دلالة متناقضة. (مجد الموت ليس هو موت

المجد) هذا ولمجد الموت ظاهر ماديّ مباشر في فعله، (البندقية) يجمع بين الفعل والأداة عن طريق تشبيه بليغ حذفت من الأداة ووجه الشبه : (مجد الموت كمجد البندقيّة)

والذي سيجيء حيث يسود مجد الموت
مجد البندقيّة. [72]

كما أن له باطنا ينتجه تقليب الحدّين (المجد والموت) يضاف الأول منهما إلى غير ما أضيف إليه الثاني، وتصاغ جملتان من هذا التقليب بدايتهما متكرّرة، الشيء الذي يؤدي إلى صياغة مقابلة بالتناقض، لأن المواقع النظمية تغيّرت بالنسبة إلى قطبيها. (من الجرّ بالاضافة إلى الرفع على الخبرية) ويتوضّح هذا بكتابة البيتين الآتيين على هذه الشاكلة :



[73]

وباعتبار أن الموت يجب أن يكون مطلقا فإن المجد مضايفة مثله مطلقا يكون. إلّا أنه حين تنتزع المطلقية من المتبوع تنتزع من التابع، ولذلك لا يتناسل أحدهما من الآخر :

مجدك لا يــرث الموت. (74)

6 ـ 13 لليل مقدّمة هي المساء. هي حسن تخلّصه من الفاتح إلى السواد فالسوداوية. هي تحقيبه ثمّ تطبيعه على استبدال دلالته اللونيّة حيث يتلبّس صورة الزمان ثمّ المكان قبل أن يتشيّأ. يتزمّن المساء في شيئية مكان محدود (البساتين)، ويكون ذلك منه ارهاصا بتمكّنه في المكان فيما بعد :

في بساتين هذا المساء الخريفيّ. (75)

وأول خطوة يخطوها نحو تمكّنه في المكان أن يعطيه حجما :

سقف المساء. (76)
ينحت تمثاله خلف سور المساء. (77)
يغزو تضاريس هذا المساء العميق. (78)

السقف والسور والتضاريس تحجيم، وحصر المساء في وعاء الزهرة مكمومة تشييىء لهذا المكان :

مائدة الزهر المسائيّ. (79)

6 ـ 14 ويكون الليل بعد أن ينفصل عن مسائيته رمزا ايقونيا لوجه كون قبيح ذي قوّة توازي بقوّة قدر يصنعه بعض الذين يتعملقون بالجبروت :

بعضكم قدر يسبق الليل. (80)

وتتأكّد هذه الرمزية بموازاة الفاعل بالمنفعل به، والحال أنهما نسق نظميّ له حدّان أولان يتقاربان من حيث الاشتقاق (يحطب، حطب) وينتمي مفسّرهما إلى فصيلة نباتية، (قمحة، أشجار) في حين أن النسق هذا ينتهي بكلمتين تتفقان لفظا (الليل، الليل) وتختلفان من حيث الموقع النظمي : (الأولى مرفوعة على الفاعليّة والثانية مجرورة بالإضافة)

... الرأس من يحطب الليل
بعض الذين أحاطتك أشجارهم حطب الليل. (81)

ويأخذ الليل بعداً أكثر إيغالا في الرمزية حين يقع على المكان. ولذا فهو يفيء عليه جوّا مأساويا إن كان ميدان حرب :

وليس لبنان هذا الليل يغسل عينيه
بذبح ضحاياه ويكتحل. (82)

ويشي بتدهور الأوضاع فيه إن كان حكّامه جلّادية :

والليل ينفخ أرغوله في شوارع مكّة. (83)

ولكنّه حين يتداخل في نفسه، تبلغ معه الرمزية أقصى مداها :

إذا دخل الليل في الليل. (83)

وبعد أن يصبح الليل هذا مضافا إليه يتعرّف بالمضاف فيتشيّأ بالنبات وبالشيء في نفس الآن : (الورق كما هو نبات مع الشجر هو شيء مع الطرس).

في أوراق هذا الليل. (84)

وبكونه علامة مكانها من الجسد بارز :

لابدّ من نجمة في الليل تائهة
كم نجمة في جبين الليل لم تكن. (85)

وبكون علامته تلك مضيئة :

وطيور من النار تنقر لؤلؤة الليل. (86)

وبكونها تسيل خيوطا شفّافة من دم فاضحة خفايا الليل :

كان قلبي آجرة من دم ثقبوها
فسالت نجوما مضرّجة عبر أقبية الليل. (87)

وبعد أن يتعرّف هذا الليل يكتمل حجمه فيصبح قابلا لأن يوصف بما يفضح عتمته. على أن وصفه يؤخذ من اسم هو منه لأنه يحتاز فيه، غير أن طبيعة هذا الوصف (القمر) مناقضة لطبيعة الموصوف، ومع ذلك تغلب الطبيعة الواصفة الطبيعة الموصوفة :

من لم يكن خائني
هذه الليلة القمرية. (88)

وإذا استوى هذا الليل رمزا وتعريفا ووصفا فإن عنصر الزمنية يتمّ له. ولكي يتمكّن منه، فإنه يتوسّطه فلا يقف في بدايته ولا في نهايته، من أجل أن تدين له البداية والنهاية بالولاء :

أمواج منتصف الليل. [89]
ليس ثمّة ما يجعل الموت في الفجر
أجمل منه إذا انتصف الليل. [90]

في الإيقـــاع :

7

7 ـ 1 يشتمل هذا الديوان على ثلاثة أنواع من الإيقاع : التفعيلّي ومنه المفرد والمزدوج، ثمّ العموديّ ومنه كذلك المفرد والمزدوج، ثمّ النثريّ. فمن حيث أن الأول والثاني يجتمع لهما الإيقاعان الشكليّ والنسقيّ، فإن الثالث لا يتوفّر إلا على النسقيّ خاصة. وتوضّح الخطاطة الآتية هذا التوزيع الإيقاعيّ :

توزيع الإيقـاع

تفعيلي مفرد	تفعيلي مزدوج	عمودي مفرد	عمودي مزدوج	نثــري
رمل = 1 رجز = 1 = 2	متدار /متقا = 10 رجز /رمل = 1 رمل /رجز = 1 متد /متق /خ=1 =13	بسيط = 2 خفيف = 1 = 3	كامل /وافر = 1 = 1	فقرة واحدة في قصيدة «تنويعات في التبغ والبرتقال»

7 ــ 2 أول ما يلاحظ عند النظر في هذه الخطاطة أن هناك إيقاعا مهيمنا هو إيقاع «المتدارك /المتقارب» لأنه يؤطر قصائد عشرا من بين التسع عشرة قصيدة مما يضم الديوان. كما يلاحظ أيضا أن الإيقاعات الأخرى تهرمن الداخل إذا ساوقت هذا الإيقاع في القصيدة الواحدة، وتهرمن الخارج إذا استقلّت بنفسها في قصيدة خاصة بها لا يساوقها فيها إيقاع آخر، تعتبر الحالة الأولى نقلة عروضية، وتعتبر الحالة الثانية وصيفا عروضيا. تتحقّق النقلة في النصّ الشعريّ الواحد، ويواكب الوصيف الإيقاع /البؤرة من أجل تسليط الأضواء عليه في جميع قصائد الديوان : الأولى نصيّة والثانية متنية. وهذا ما تسعى الخطاطة الآتية إلى توضيحه :

الإيقـاع	القصـيـدة	الصفحة
الرمـل	ذهـول	66
الرجـز	بعض الموت مجد الأرض	8
المتدارك /المتقارب	ليس في الياسمينة غير البكاء	1
	حريق في رداء الأميرة	14
	زيارة صاحب البرق	24
	حوارية للفرعون وأرشليم	34
	القيامة	49
	ذات مساء ... ذات صباح	70

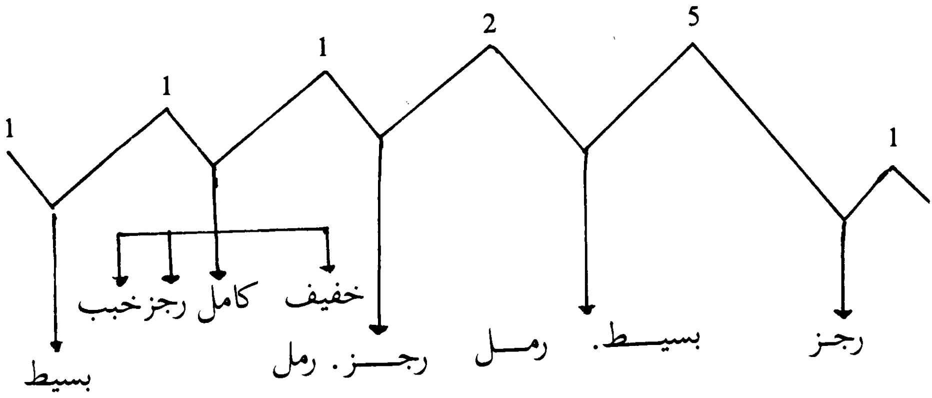
الإيقاع	القصيدة	الصفحة
	ترنيمة للحب والأرض	78
	سورة الفقير	94
	عصفورة الدم	129
	ملك أو كتابة	144
الرجز /الرمل	أوراق طائر الليل	84
الرمل /الرجز /الخبب	من أحرق قلب الفستقة ؟	119
المتدارك /المتقارب /الخبب	تنويعات في التبغ والبرتقال	40
البسيط	لا ... ليس لبنان	59
	خارج الموت	137
الخفيف	صلوات للوطن	101
الكامل /الوافر	بيروت في زمن الولادة والدمار	110

7 ــ 3 هيمنة إيقاع المتدارك /المتقارب في الديوان دلالتان : أولاهما أنه إيقاع مركزيّ تتخلّله إيقاعات مهيمن عليها، لأنها أقل مركزيّة منه، أتى بها إما لتبديد الرتابة بالتنويع وإما لإيقاف مدّ إيقاعيّ لصالح جزر إيقاعيّ يساوق تدرّج الإنفعال من قمّة إلى سفح ومن سفح إلى قمّة. (التنويع شكليّ والإيقاف مواءمة الشكل للمضمون) وثانيهما أنه إيقاع سيّال تنحت عبره الجملة أو الفقرة الشعريتان مهما كان قصر أو طول هذه الأخيرة، وأنه لسيولته ملائم لبلورة الهواجس

المتداخلة، كما أنه أليق باحتواء هذيان الصورة السوريالية :

— تشير الأرقام إلى الإيقاع المهيمن

— تشير الأسهم إلى الإيقاع المهيمن عليه



7 — 4 وتهدف ازدواجية الإيقاع في القصيدة الواحدة من الديوان إلى دحض رتابة الإيقاع الواحد فيها بتنقّلها فجاءة منه إلى غيره، خصوصا إذا طالت هذه القصيدة أو قسّمت إلى فقرات يوهم تقسيمها ذاك أن كلّ فقرة منها مستقلّة بنفسها عن الأخرى، والحال أن الفقرات جميعا تلتقي فيما يوحّد دلاليتها. هذا التنقّل هرمنة، شريطة أن يكون الإيقاع المنتقل إليه من نفس الدائرة العروضية التي ينتمي إليها الإيقاع المنتقل منه، وذلك ضمانا لسيولة الدبدبات وعدم تشتّتها، وإلا فإن انتميا إلى دوائر عروضية مختلفة، فإن الإيقاع من

الأول إلى الثاني يرتبك لدى القراءة الصامتة ولدى الإنشاد. (الإنتقال من إيقاع صاف إلى آخر صاف كذلك مريح، والإنتقال من صاف إلى ممتزج غير مريح)

7 ــ 5 ويهدف التنقّل في الديوان بين التفعيليّ والعموديّ إلى التمييز فيه بين خطابين أساسيين : أولهما شعريّ هامس تطغى على شكله في الغالب سرديّة على الطريقة العربية القديمة، (قال ويقول) وتطغى على مضمونه مرموزات سوريالية، ولذلك فأليق به التفعيلة. وثانيهما خطابيّ (بفتح الخاء) حماسيّ تطغى عليه الفخامة اللغوية شكلا واستقلالية المعنى في البيت الواحد عن غيره مضمونا، ولذلك فأليق به العمود. على أن كلّا من هذين الخطابين يخدم الجانب الإيديولوجيّ العروبيّ بشكل مباشر : الأول بشعريته وإيقاعيته المنسابة يعرض اللقطة الراهنة بمأساوية، والثاني بفحامته وصرامته الإيقاعية، يعرض في ذلك، فهناك من اللقطات ما هو إلى الصورة الشعرية السوريالية أقرب.

7 ــ 6 وأخيرا فإن التنقّل في قصيدة : «تنويعات في التبغ والبرتقال» من الإيقاع (التفعيلة) إلى الإيقاع (النثرية) يهدف إلى تدعيم الموضوعة المركزية (مأساة فلسطين) بسردية دقيقة يحكمها الحدث غير متسلسل ولا متعاقب، ويغذّي تقطيعها الصوريّ بالخيال الفاعل يفاجيء ويصدم كاللامتوقع. يضاف إلى ذلك أن أسماء المنفعلين بالأحداث أساس هويتها. هذه الأسماء ينبغي أن تحافظ على حرفيتها

(فاطمة الخواجة) وعلى شعريتها، (حسن الحايك. حسن العطّار. غندور) ولطول بعضها [1] لا يستوعبه الإيقاع. ثمّ أنها لا يكتفي منها برمزها الإيفونيّ، بل بما هي في الراهن : ذات نباتية تشيّأت بشرا (شتلة التبغ) وذات مكانية تشيّأ بها المكان، (الغازية. الشياح) لأنها وثيقة، وبوصفها ذاك، فإن تركيبها قائم على مفارقة (العربي في مقابلة الكردي، والمسلم في مقابلة المسيحي) تنتهي إلى نقض نفسها بنفسها حين تتساوى أمام المدّ العروبيّ. لذلك، فليس أليق بها من النثر المركّز الذي توفّر له الإيقاع النسقيّ لأنه آخى في القصيدة بين الشعريّ وبين الأخباريّ، ولأنه اعتمد جانب اللقطة المجافية لمنطق التسلسل في السرد، ولأنه زَاوَجَ بين المتخيّل وبين المتداعي، ولأنه حرّك أسماء الشخوص المنفعلة بالأحداث لا بالحدث وإنما بلغة المفارقة تنقض نفسها استجابة لضغط الراهن، ولأنه ركن إلى الجمل القصيرة النفّاذة.

الدكتور محمد السرغيني

---

1 وردة بطرس إبراهيم.

الإحالات :

(1) انظر : J.J. Nattier. "Fondements d'une sémiologie de la musique". coll.10/18. N° 1017.pp. 19-28.

(2) هذه الدواوين هي كالتالي :

1 ـــ أغاني إفريقيا.
2 ـــ اذكريني يا إفريقيا.
3 ـــ عاشق من إفريقيا.
4 ـــ معزوفة لدرويش متجوّل.
5 ـــ سقوط دبشليم.
6 ـــ البطل والثورة والمشنقة.
7 ـــ أقوال شاهد إثبات.
8 ـــ أحزان إفريقيا ـــ سولارا.
9 ـــ ثورة عمر المختار.
10 ـــ ابتسمي حتّى تمرّ الخيل.

(3) انظر مقالتنا بالفرنسية في مجلّة الآداب بجامعة سيدي محمد بن عبد الله. ع. 2 ـــ 3. سنة 1979 ـــ 1980.

Serghini Mohamed.
Une poésie négro africaine d'expression arabe.
L'exemple de Muhammad Miftâh Al-Fîturî

وانظر كذلك : Yves Thoraval. "Mohamed El-Faytouri à la charnière du monde arabe et de l'Afrique noire".
in. la Revue tunisienne : "ALIF". N° 3.Novembre 1973. pp. 112-114.

(4) د. «صلوات للوطن» ص 182.

(5) د. «حريق في رداء الأميرة» ص 182.

(6) د. «سورة الفقير» ص 183.

(7) د. «خارج الموت» ص 183.

(8) د. «حريق في رداء الأميرة» ص 184.
(9) د. «القيامة» ص 185.
(10) د. «من أحرق قلب الفستقة» ص 185.
(11) د. «تنويعات في التبغ والبرتقال» ص 187.
(12) د. «لا ... ليس لبنان» ص 188.
(13) د. «تنويعات في التبغ والبرتقال» ص 189.
(14) د. «حريق في رداء الأميرة» ص 189.
(15) د. «حريق في رداء الأميرة» ص 189.
(16) د. «ترنيمة للحب وللأرض» ص 189.
(17) د. «لا ... ليس لبنان» ص 190.
(18) د. «لا ... ليس لبنان» ص 191.
(19) د. «ملك أو كتابة» ص 191.
(20) د. «ملك أو كتابة» ص 192 .
(21) د. «حوارية للفرعون وأورشليم» ص 193.
(22) د. «خارج الموت» ص 193.
(23) د. «عصفورة الدم» ص 194.
(24) د. «ليس في الياسمينة غير البكاء» ص 196.
(25) د. «ليس في الياسمينة غير البكاء» ص 196.
(26) د. «ليس في الياسمينة غير البكاء» ص 196.
(27) د. «ليس في الياسمينة غير البكاء» ص 196.
(28) د. «حريق في رداء الأميرة» ص 196.
(29) د. «ذات مساء ... ذات صباح» ص 196.
(30) د. «أوراق طائر الليل» ص 197.
(31) د. «ملك أو كتابة» ص 197.
(32) د. «ملك أو كتابة» ص 197.
(33) د. «ليس في الياسمينة غير البكاء» ص 199.
(34) د. «بعض الموت مجد الأرض» ص 200.
(35) د. «ذات مساء ... ذات صباح» ص 200.
(36) د. «ذات مساء ... ذات صباح» ص 201.
(37) د. «أوراق طائر الليل» ص 202.
(38) د. «أوراق طائر الليل» ص 202.

(39) وهو قوله : «ينبغي أن يتأهّب المتلقّي للاتقاط الصورة فور انطباعها» ص 202
''Il faut être présent, présent à l'image, dans la minute de l'image''. cf. Gaston Bachelard. ''Poétique de l'espace''. Paris, 1957. (Puf). p, I.

(40) وتعني البؤرة أو الموضوعة لديه أن أعمال المبدع وخاصة منها الشعر، تعبّر من خلال عدد لامتناه من الرموز عن فكرة ثابتة أو موضوعة وحيدة، من الممكن أن يثبّت هذه الفكرة أو تلك الموضوعة في طفولة المبدع حادث منسيّ. وللتوسّع، ص 203

انظر : J.P. Weber. ''Standal, les structures thématiques de ses œuvres''. Paris, 1969.

(41) د. «خارج الموت» ص 205.
(42) د. «من أحرق قلب الفستقة» ص 205.
(43) د. «بيروت في زمن الولادة والدمار» ص 205.
(44) د. «صلوات للوطن» ص 205.
(45) د. «أوراق طائر الليل» ص 206.
(46) د. «أوراق طائر الليل» ص 206.
(47) د. «أوراق طائر الليل» ص 206.
(48) د. «أوراق طائر الليل» ص 207.
(49) د. «ملك أو كتابة» ص 207.
(50) د. «ليس في الياسمينة غير البكاء» ص 207.
(51) د. «عصفورة الدم» ص 208.
(52) د. «زيارة صاحب البرق» ص 208.
(53) د. «حوارية للفرعون وأورشليم» ص 208.
(54) د. «من أحرق قلب الفستقة» ص 208.
(55) د. «من أحرق قلب الفستقة» ص 209.
(56) د. «القيامة» ص 209.
(57) د. «ملك أو كتابة» ص 209.
(58) د. «من أحرق قلب الفستقة» ص 209.
(59) د. «صلوات للوطن» ص 210.
(60) د. «ذات مساء ... ذات صباح» ص 210.
(61) د. «من أحرق قلب الفستقة» ص 210.
(62) د. «حوارية للفرعون وأورشليم» ص 210.
(63) د. «بعض الموت مجد الأرض» ص 210.

(64) د. «لا ... ليس لبنان» ص 211.
(65) د. «سورة الفقير» ص 211.
(66) د. «ذهول» ص 211.
(67) د. «من أحرق قلب الفستقة» ص 212.
(68) د. «لا .. ليس لبنان» ص 212.
(69) د. «لا... ليس لبنان» ص 212.
(70) د. «سورة الفقير» ص 212.
(71) د. «زيارة صاحب البرق» ص 212.
(72) د. «بيروت في زمن الولادة والدمار» ص 213.
(73) د. «بعض الموت مجد الأرض» ص 213.
(74) د. «القيامة» ص 214.
(75) د. «ليس في الياسمينة غير البكاء» ص 214.
(76) د. «حريق في رداء الأميرة» ص 214.
(77) د. «حوارية للفرعون وأورشليم» ص 214.
(78) د. «حريق في رداء الأميرة» ص 214.
(79) د. «ذهول» ص 214.
(80) د. «زيارة صاحب البرق» ص 214.
(81) د. «ذات مساء ... ذات صباح» ص 215.
(82) د. «لا .. ليس لبنان» ص 215.
(83) د. «ليس في الياسمينة غير البكاء» ص 215.
(84) د. «أوراق طائر الليل» ص 216.
(85) د. «خارج الموت» ص 116.
(86) د. «عصفورة الدم» ص 116.
(87) د. «عصفورة الدم» ص 216.
(88) د. «القيامة» ص 116.
(89) د. «ليس في الياسمينة غير البكاء» ص 217.
(90) د. «ملك أو كتابة» ص 117.

الفهرست

الفهرست

من منشورات المجلس القومي للثقافة العربية

I سلسـلـة «ثقافتنا القومية»

- المثقفون والثورة، للدكتور نديم البيطار، روما 1987.

II سلسـلـة «النـــدوات»

- الثرات والعمل السياسي بالاشتراك مع منتدى الفكر والحوار، باريس 1984.
- المثقف العربي، دوره وعلاقته بالسلطة والمجتمع، الرباط مايو/أيار 1985.
- النظـم العربية والديمقراطية، الـربـاط 1986.

III سلسـلـة «الابـــداع»

- شرق الشمس غرب القمر، محمد الفيتوري، الرباط 1987.
- الخـمــــارة، أحمـد المجاطـي، الـربـاط 1987.

تصفيف وتصوير
النشر العربي الإفريقي
16، شارع مصر – الرباط –
الهاتف : 44-212

مطبعة النجاح الجديدة
الدار البيضاء



هذا الشاعر :

• « واكبت أشعاره كما نعرف نضال إفريقيا وحلمها وبعثها حيث جعل من الزنجية قيمة حضارية وانتماءً إنسانيا مناهضا للعنصرية البيضاء ».

• تغنى بالعروبة انتماءً وتاريخا وحضارة ومصيرا وتحديا.

• أشعاره كانت وما تزال تطفح برؤية وجدانية صوفية تنظر إلى الإنسان من الزاوية الروحية.

• في الديوان الذي نقدمه اليوم إلى القراء ما تزال عروبة الشاعر حاضرة بكل تأججها وتوتراتها : عروبة منتكسة بدءاً من مأساة بيروت ولبنان، متشرذمة تحت زعامات طفيلية وخيانات، لكن الشاعر لم يفته إدراك حالة هذا الواقع وإدماجها في حالة العالم الثالث الذي يدخل اليوم صراع وجود وحضارة ضد كل أنواع القهر والاستلاب والعدوان..

الثمن : 30 درهما أو ما يعادلها.